لَفْظَتَا السَّنَةِ وَالْعَامِ

دِرَاسَةٌ دِلَالِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ

إِعْدَادُ :

د. أَحْمَدَ طَهَ رِضْوَانَ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِمَعْهَدِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

تقديم

بسم الله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وبعد ... فقد خطا أسلافنا – رحمهم الله – في سبيل إتقان اللغة العربية خطوات لها اعتبارها ، ونشأ نتيجة لذلك عدد من العلوم اللغوية ، منها ما يسمى بتراث لحن العامة ، الذي يعنى برصد الأخطاء اللغوية

وتصحيحها للمستخدمين ، وكانت مؤلفات هذا الفن تتطوع أحيانا بالتنبيه على بعض الغوامض ، التي قد لا يتاح للكثيرين الاطلاع عليها ، ويعد ما ألفه العلماء في الفروق اللغوية مصدرا من مصادر هذا التراث ، إلى جانب المعاجم بطبيعة الحال .

ومع كبير تقديرنا لهذا المجهود المبذول ، فإننا نحتاج بين الفينة والفينة لإعادة النظر في بعض مسائله – وخاصة المسلمات المشتهرات منها – لتأكيد ما قاله الأقدمون أو تصحيحه ، ذلك أن للريادة دوما ضريبتها ، المتمثلة في سهولة الانزلاق في الأخطاء ، لأسباب عديدة لا محل للحديث عنها هاهنا . وتكون لهذه المراجعة أهميتها إذا كانت لمسائل متداولة بين مستخدمي اللغة العربية الفصحى ، إذ أننا بذلك نكمل جهود الأوائل ونستكمل مسيرتهم .

ومن هذه المسائل التي يكثر تداولها حقيقةُ الفرق بين لفظتي : السنة ، والعام ، فقد أشار إليهما مؤلفو كتب الفروق اللغوية ، ونقل عنهم أكثر الذين ألفوا في تراث لحن العامة ، متفقين معهم أحيانا ، ومخالفين أحيانا أخرى ، وهل هما مترادفان دائما أم لا ، وإذا لم يكونا مترادفين فما حقيقة الفرق الدلالي بينهما . وانحصر الكلام في الفرق بين هاتين اللفظتين مع وجود ألفاظ أخرى قريبة الدلالة منهما ، كلفظ (الحول) مثلا .

وقد يبدو أن المسألة أصغر من أن يُكتب فيها ، ولا تحتاج إلى اهتمام ، ولكن ورود اللفظتين في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، ووجود تفسيرات واجتهادات في تفسير بعض نصوصهما ، بل تجاوز ذلك إلى استنباط مسائل فقهية[1]، مبنية أساسا على الفارق بين العام والسنة ؛ يوجب علينا أن نحاول تجلية الأمر . أيضا فإن المتابع للاستخدامات اللغوية المعاصرة يجد عددا من الأساليب التي نحتاج فيها إلى استخدام إحدى اللفظتين ، فمثلا هل نكتب : العام الدراسي أم السنة الدراسية ؟ وهل نكتب السنة الماضية أم العام الماضي ؟ وأيهما أصوب ؟ أم أنهما متساويان في الدلالة ؟

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هناك احتمالا قويا لوجود تطور دلالي لأحد اللفظين ، أدى إلى نشأة هذا الترادف ، فنحن إذًا في حاجة لمطالعة تراث أخوات العربية من اللغات السامية ، لمعرفة الدلالة الأصلية للفظين – إن وُجد – في اللغات السامية ، فقد يكون لذلك إشارات حاسمة في بيان الفرق بينهما . وحينئذ نكون قد أعطينا لمحة تاريخية عن التطور الدلالي لهاتين اللفظتين .

وبناء على ما سبق ، فسوف نراجع كلا من : معجم المشترك السامي في اللغة العربية ، ثم نصوص الاحتجاج اللغوي التي ورد فيها هذان اللفظان – وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف – بالإضافة إلى عدد من

---

(1) انظر : تصحيح التصحيف ص 373372 ، وتاج العروس (عوم) 91/33 ، وذلك في قولهم: إذا حلف لا يكلمه عاما لا يدخل بعضه في بعض ، إنما هو الشتاء والصيف .

المصادر الأدبية التي أشارت إلى الفرق بين اللفظتين [1] ، تتبعا تاريخيا ؛ للخروج بخلاصة عما قيل في الفرق بين هاتين اللفظتين قديما وحديثا ، مقارنين ذلك بما ورد في المعاجم اللغوية ، وكتب الفروق اللغوية ، متبعين في ذلك المنهج التاريخي .

ولم أقسم البحث وفق الدلالات ، بأن أتناول تطور كل دلالة على حدة من القديم إلى الحديث ، كما هو المعمول به في الدراسات المعجمية التاريخية ، وإنما تناولت دلالات السنة والعام معا ؛ لأنني بعد جمع المادة العلمية وجدت أن هذا أكثر فائدة للبحث ، وأقرب للمقارنة بين تلك الدلالات ؛ ليكون البحث كالتالي:

أولا : دلالة السنة والعام في اللغات السامية

ثانيا : دلالة السنة والعام قبل الإسلام

ثالثا : دلالة السنة والعام من البعثة النبوية حتى نهاية عصر الاحتجاج

أ. في القرآن الكريم

ب. في الحديث الشريف

ج. في شعر تلك الفترة

رابعا : دلالة السنة والعام فيما بعد عصر الاحتجاج

خاتمة : خلاصة البحث

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل

(1) سيكون جل اعتمادنا — في غير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف – على الشواهد الشعرية ، لانضباط روايتها بالوزن ، بينما النثر لا يؤمن في روايته تبديل لفظ السنة بالعام أو العكس ، وما يرد من الشواهد النثرية سيكون من قبيل الاستئناس وتقوية الدليل .

أولا : السنة والعام في اللغات السامية

لا يوجد لفظ (العام) في معجم مفردات المشترك السامي ، بما يعني أنه لفظ اختصت به اللغة العربية عن أخواتها من اللغات السامية . أما لفظ (السنة) فيوجد في كل من العبرية والآرامية والسريانية والآشورية ، ويوجد في جميعها بمعنى واحد هو المرادف لكلمة العام والحول في العربية :[1]

سَنَة **sana**:في العبرية שָׁנָה **šānā**
وفي الآرامية שְׁנָא **šnā**
وفي السريانية ܫܢܬܐ **šattā** ،
وفي الآشورية **šattu** ، وكلها بمعنى "سَنَة".

وبناء على هذه المعطيات ، فإن لفظ السنة لفظ ورثته العربية عن السامية ، وإذا كان يوجد في المعجم العربي بأحد معنيين : بالمعنى المعروف به في اللغات السامية ، وبمعنى القحط والشدة ؛ فإن المعنى الأصلي للفظ السنة هو المعنى الموجود في اللغات السامية ، ويبقى معرفة التطور الدلالي للفظ السنة في العربية ، ومتى دخل لفظ العام إلى المعجم العربي .

وفي ضوء ذلك أيضا فإن ما ذكره ابن سيده ، ونقله ابن منظور في لسان العرب في قوله: " والسَّنةُ مطلقةً : السنةُ المُجْدِبةُ ، أَوْقَعُوا ذلك عليها إِكباراً لها وتشنيعاً واستطالة ، يقال: أَصابتهم السنة "[2] ؛ هذا قول يرده وجود

---

(1) معجم المشترك السامي في اللغة العربية ص 230

(2) قول ابن سيده (المتوفى 458هـ) في المحكم والمحيط الأعظم (سنن) 220/4 ، ونقله ابن منظور في لسان العرب بنصه في مادة (سنه) 501/13

لفظ السنة في اللغات السامية بمعنى الحول فقط ، ويرده أيضا تفسيره لذلك ، فالاستطالة التي استشعروها في لفظ السنة ليست إلا لأن اللفظ يدل في أصله على زمن طويل ، فتأمل . ومما يؤيد ذلك أنه ذكر بعد ذلك بقليل : " تَسَنَّيْتُ عنده إذا أَقمت عنده سَنةً " ، والسنة هاهنا بمعنى الحول بلا خلاف ، فيكون قولهم : " والسنة مطلقة : السنة المجدبة " غير دقيق ، والأدق منه أن يقال إن السنة مطلقة هي الزمن المعروف ، المرادف لمعنى الحول .

ثانيا : دلالة السنة والعام قبل الإسلام :

مما ورد من الشعر في لفظ السنة ، قول عروة بن الورد 1 : [الطويل]

فما شابَ رَأْسِي مِن سِنينَ تَتابعتْ   طِوالٍ ولكن شَيَّبَتْهُ الوقائعُ 2

وقال علقمة الفحل 3 ، وهو يتحدث عن خمر معتقة : [البسيط]

عانِيَةٌ قَرْقَفٌ لم تُطَّلَعْ سَنةً   يُجِنُّها مُدْمَجٌ بِالطِّينِ مَخْتُومُ 4

(1) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي ، من غطفان ، شاعر فارس جاهلي ، كان يلقب بعروة الصعاليك . مات مقتولا سنة 616 م (30 ق. هـ). انظر مقدمة ديوانه ص 9-14 ، والأعلام 227/4

(2) ديوان عروة بن الورد ص 82

(3) هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس ، من بني تميم ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، كان معاصرا لامرئ القيس . توفي حوالي سنة 20 قبل الهجرة . المؤتلف والمختلف من ألقاب الشعراء 152 ، والأعلام 247/4

(4) المفضليات ق 42/120 ص 402

ومن شعر زهير بن أبي سلمى 1 : [الطويل]

وقد كنتُ مِن سَلْمَى سِنينَ ثَمانيًا على صيرِ أمرٍ ما يَمُرُّ وما يَحْلُو 2

نرى في تلكم الأمثلة أن لفظ السنة كان يعبر عن معنى الحول ، مجردا عن الجدب أو الخصب في الزمن المقصود ، أي بذات المعنى الذي ورثته العربية عن اللغات السامية .

وفي قول أوس بن حجر 3: [الطويل]

لَحَيْنَهُمُ لَحْيَ الْعَصا فَطَرَدْنَهُمْ إلى سَنَةٍ جِرْذَانُهَا لم تَ َحَلَّمِ 4

نلمح ورود السنة بمعنى الجدب والقحط ، وهو المعنى الآخر الذي استحدثته اللغة العربية للفظ السنة . ومعنى ذلك أن السنة بمعنى القحط والجدب دخل اللغة العربية قبل الإسلام وقبل نزول القرآن الكريم ، وهو ما يتفق مع ما ورد في المعاجم ، أو المؤلفات التي عُنيت برصد الألفاظ الإسلامية التي استحدثت بعد الإسلام ، والتطورات الدلالية للبعض الآخر من الألفاظ ، حيث لم يرد في أحدها أن لفظ السنة حدث له تطور دلالي بعد الإسلام .

---

(1) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، من أسرة أكثر أفرادها شعراء مجيدون ، وهو والد الشاعر كعب بن زهير ، توفي 13 ق. هـ . الأعلام 52/3

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى ص 83

(3) هو أوس بن حجر بن مالك التميمي ، من كبار شعراء تميم في الجاهلية ، وهو زوج أم زهير ابن أبي سلمى ، عمّر طويلا ولم يدرك الإسلام . توفي سنة 2 قبل الهجرة تقريبا. الأعلام 31/2

(4) ديوان أوس بن حجر ق 16/48 ص 119 ومعنى جرذانها لم تحلم : لم تسمن من الجدب والقحط ، فكيف بما سواها .

أما متى استُحدث معنى القحط والجدب للفظ السنة قبل الإسلام ، وملابسات ذلك ، فلا تسعفنا الآثار في معرفة شيء من ذلك ، فقد يكون هذا المعنى نشأ نتيجة بعض الكوارث التي حدثت في الجزيرة وترتب عليها جدب وقحط . وقد يكون تطورا صوتيا من لفظ آخر ، ويحتمل أن يكون تطورا دلاليا بعد انتشار لفظ العام كمرادف للفظ السنة ، وحينئذ نزعت اللغة العربية إلى تخصيص لفظ السنة بمعنى أخص من مجرد الدلالة على الزمن المعين ، 1 ، وإذا صح ذلك فإن ما يغلب على ظني أن بيئة العرب المجدبة كانت سببا مباشرا في هذا التطور ، حيث ينتظر أكثر الناس في جزيرة العرب المطر والخصب من سنة إلى أخرى .

وقد يكون ذلك التطور الدلالي ببساطة من قبيل إقامة الصفة مقام الموصوف في قولهم : السنة المجدبة ، أو إقامة المضاف إليه مقام المضاف في قولهم : جدب سنة أو قحط سنة ، وهو ما أشار إليه القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ [سورة الأعراف 130/7] ، وذلك في قوله : " قوله تعالى: (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) يعني الجدوب ، وهذا معروف في اللغة ، يقال: أصابتهم سنة ، أي جدب ، وتقديره جدب سنة " 2، وحينئذ لا يشترط أن يكون لهذا التطور الدلالي للفظ السنة علاقة بلفظ العام ، فقد يكون قبل دخوله للاستعمال بين العرب، وقد يكون بعد ذلك . وفي كل الأحوال فهذه مجرد اجتهادات ، ليس لدينا يقين يؤيدها أو ينفيها .

(1) انظر دور الكلمة في اللغة ص 109

(2) تفسير القرطبي 263/7-264

أما لفظ العام ، فمما ورد فيه في شعر العصر الجاهلي :

يقول عمرو بن قميئة 1 : [الطويل]

وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاك وعامِ 2

وقال تأبط شرا 3 : [الوافر]

رأى بهما عذابًا كلَّ عامٍ لِخَثْعَمَ أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه 4

وقال زهير بن جناب الكلبي 5: [الوافر]

وحُقَّ لمَن أَتَتْ مائتانِ عامٍ عليه أن يَمَلَّ من الثَّواءِ 6

وفي شعر زهير بن أبي سلمى : [الطويل]

عفَا عامَ حَلَّتْ صَيْفُهُ ورَبِيعُهُ وعامٌ وعامٌ يَتْبَعُ العامَ قابلُ 7

---

(1) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري ، شاعر جاهلي مقدم ، صحب امرأ القيس الشاعر وأباه حجرا من قبله . توفي سنة 85 قبل الهجرة . الأعلام 83/5

(2) المفضليات ق 14/12 ج149/1

(3) هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي ، من مضر ، قُتل في بلاد هذيل سنة 85 ق. هـ . الأعلام 82/2 ، ومنتهى الطلب 423/6

(4) ديوان تأبط شرا ق 4/34 ص 198

(5) هو زهير بن جناب الكلبي ، من بني كنانة ، أحد أمراء العرب وشجعانهم المشهورين في الجاهلية ، وهو خطيب قضاعة وسيدها. توفي حوالي 60 ق. هـ . المؤتلف والمختلف ص 130 ، ومنتهى الطلب 50/2 ، والأعلام 51/3

(6) المعمرون والوصايا ص 34

(7) ديوان زهير بن أبي سلمى ص 98

ولفظ العام كما هو واضح في الشواهد السابقة إنما هو بمعنى الحول مطلقا ، وهو المعنى المرادف للفظ السنة كما ورد في اللغات السامية .

ولكنا نجد في مواضع أخرى أن لفظ العام ورد للدلالة على الزمان الخصيب ، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص 1: [السريع]

أَجالَتِ الريحُ بها ذَيْلَ‍َها عامًا وجَونٌ مُسْبِلٌ هَاطِلُ 2

وقول بشر بن أبي خازم 3: [المنسرح]

عام ترى الكاعبَ المُنَعَّمَةَ الـ حسناءَ في دارِ أهلها سَبُعا4

وهذا المعنى واضح تماما في قول بشامة بن الغدير المري 5: [المتقارب]

تَطَرَّدُ أطرافَ عامٍ خصيبٍ ولم يُشْلِ عبدٌ إليها فصيلا 6

ومن شعر زهير أيضا : [الوافر]

---

(1) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي ، من مضر ، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها ، وهو من أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية بعد المعلقات ، عمر طويلا ، وقتله النعمان بن المنذر عام 25 قبل الهجرة . الأعلام 188/4، والمؤتلف والمختلف 153، له ترجمة وافية في مقدمة ديوانه ص 7 وما بعدها .

(2) ديوان عبيد بن الأبرص ق 2/34 ص 92

(3) هو بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي ، شاعر جاهلي كبير ، قتل في إحدى الغارات على بني صعصعة بن معاوية سنة 22 قبل الهجرة ، وقيل 32 قبل الهجرة . له ترجمة وافية في مقدمة ديوانه ص 7-15

(4) ديوان بشر بن أبي خازم ق 11/26 ص 94

(5)هو بشامة بن الغدير العذري ، شاعر جاهلي ، خال زهير بن أبي سلمى ، وعده بعضهم خطأ من الإسلاميين. توفي سنة 14 قبل الهجرة . المؤتلف والمختلف 163-164 ، والأعلام 54/2

(6) المفضليات ق 13/10 ص 57

وهو غَيْثٌ لنا في كلِّ عامٍ يَلوذُ به المُخَوَّلُ والْعَدِيمُ 1

فالمواضع السابقة أتى فيها لفظ العام دالا على الزمان ، محملا بالدلالة على أن ذلك الزمان كان خصيبا ، ولكن تجدر الإشارة إلى أننا فهمنا ذلك من السياق، أو من وصف لفظ العام ، ولم يأت لفظ العام فقط على إطلاقه دالا على الزمان الخصيب ، مثلما هو الحال مع لفظ السنة مثلا ، الذي يُستخدم في بعض السياقات بذاته ودون وصف للدلالة على الجدب .

وإذا كنا قد تحفظنا منذ قليل على قول ابن سيده : " السنة مطلقة : السنة المجدبة "[2] ؛ فإننا نوافقه فيما قاله في موضع آخر حيث قال : " وأصابتهم السنة يعنون به المجدبة ... لا يستعمل ذلك إلا في الجدب ضد الخصب " [3]، فهذا الكلام يُفهم منه أن السنة قد يراد بها الدلالة على الحال فتكون بمعنى الجدب، أما إذا استعملت للدلالة على الزمان المعروف فلا يُشترط ارتباطها بمعنى الجدب .

ولذلك ، فإننا لا نستطيع مسايرة بعض أصحاب المعاجم العربية — فيما يخص الفترة التي نحن بصددها على الأقل – فيما ذهبوا إليه من أن لفظ العام يستخدم فقط للدلالة على زمن الخصب والنماء ، فقد ورد لفظ العام في مواضع أُخَرَ محملا بالدلالة على ضد معنى الخصب ، فقد يدل على الزمان

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى ص 119
(2) المحكم والمحيط الأعظم (سنن) 220/4
(3) المحكم والمحيط الأعظم (سنو) 614/8

المجدب ، أو الصعب الشديد ، وذلك ما نلحظه في قول المرقش الأكبر 1: [السريع]

إنْ يُخصِبوا يَعْيَوا بخَصْبهم أو يُجْدِبُوا فهمْ به أَلأَمْ

عامَ تَرى الطَّيْرَ دَواخِلَ في بيوتِ قومٍ معهمْ تَرْنَمْ

ويخرجُ الدُّخانُ من خَللِ ال سّترِ كلونِ الكَوْدَنِ الأَصْحَمْ

حتى إذا ما الأرضُ زَيَّنَها الن بتُ وجُنَّ روضُها وأَكَمْ 2

نلحظ أن العام هاهنا عام جدب ، يسعى فيه هؤلاء اللئام إلى إخفاء ما يحصلون عليه من خير ، ولكن الدخان الناتج عن شواء الطير يفضح بخلهم .

وفي شعر عنترة بن شداد 3: [الوافر]

فعيشُكَ تحتَ ظلِّ العزِّ يومًا ولا تحتَ المذلَّةِ ألفَ عامِ4

يدل لفظ العام هاهنا على الزمن المجرد ، ولكن العيش تحت المذلة ليس له علاقة بالخصب من قريب أو بعيد .

وقريب منه قول زهير بن أبي سلمى : [الكامل]

تالله قد علمتْ سَراةُ بني ذُبْيانَ عامَ الحَبْسِ والأَصْرِ 1

(1) هو عوف . وقيل عمرو . بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ، من بني بكر بن وائل . شاعر جاهلي . ولد باليمن ونشأ بالعراق. توفي حوالي 75 قبل الهجرة . الأعلام 95/5 ، والمؤتلف والمختلف ص 201

(2) المفضليات ق 28/54 ص 240

(3) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى ، من أهل نجد. عمر طويلا ، ومات مقتولا عام 22 قبل الهجرة . الأعلام 91/5 ، وله ترجمة وافية في مقدمة ديوانه ص 14-52

(4) ديوان عنترة بن شداد ق 7/132 ص 188

نجد أن لفظ العام أتى للدلالة على زمان الحبس والإصر .

وفي قول الجميح الأسدي 2: [البسيط]

لما رأت إبلي قلّت حلوبتُها وكلُّ عامٍ عليها عامُ تَجنيبِ 3

يتضح أن العام هاهنا يدل على زمان عيشه صعب ، فالإبل قلت حلوبتها ، وعام التجنيب هو العام الذي تقل فيه حلوبة الإبل ويذهب اللبن .

وسوف يأتي في الصفحات المقبلة زيادة بيان لاختلاف أصحاب المعاجم في ذلك .

وخلاصة ما نخرج به حول دلالة لفظتي السنة والعام إلى ما قبل نزول القرآن الكريم، أن كلا اللفظين يدلان على الزمان المجرد ، وهما في ذلك مترادفان ترادفا تاما [4]، لا يغير من ذلك ما قد يُفهم من السياق أن ذلك الزمان يكون خصيبا أو مجدبا . ومن جهة أخرى ، فإن لفظ السنة يختص بمعنى آخر لا علاقة له بالزمان . قد يكون متطورا عنه أو عن غيره صوتيا أو دلاليا . هو معنى الجدب .

(1) ديوان زهير ص 54

(2) هو منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف الأسدي ، مختلف في اسمه واسم أبيه ، فارس شاعر جاهلي ، توفي عام 53 قبل الهجرة ، حيث قُتل عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم . المؤتلف والمختلف 403 ، والأعلام 308/7

(3) المفضليات ق 8/4 ص 35

(4) وضع العلماء المحدثون المجيزون لوجود الترادف التام في اللغة شروطا للقول به ، من أهمها : الاتفاق في المعنى اتفاقا تاما ، والاتحاد في البيئة اللغوية ، والاتحاد في العصر ، وألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للآخر . انظر : فصول في فقه العربية 323322

ثالثا : دلالة السنة والعام من البعثة النبوية حتى نهاية عصر الاحتجاج

أ. في القرآن الكريم

ورد لفظ السنة في القرآن الكريم تسع عشرة (19) مرة ، مفردا أحيانا ومجموعا أحيانا أخرى كالتالي :

البقرة 96/2 ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

المائدة 26/5 ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾

يونس 5/10 ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

الحج 47/22 ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

العنكبوت 14/29 ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾

السجدة 5/32 ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

الأحقاف 15/46 [حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)

المعارج 4/70 ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

يوسف 42/12 ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

يوسف 47/12 ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً ﴾

الإسراء 12/17 ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

الكهف 11/18 ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾
الكهف 25/18 ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾
طه 40/20 ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾
المؤمنون 112/23 ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾
الشعراء 18/26 ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾
الشعراء 205/26 ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾
الروم 4/30 ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾

وكل المواضع السابقة أتى فيها لفظ السنة بمعنى العام ، بلا خلاف بين المفسرين .

كما ورد في القرآن الكريم لفظ (السنين) مرة واحدة بمعنى الجدب والشدة ، وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف 7/ 130 ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [1]

وفي تلك المواضع جميعا التي ورد فيها لفظ السنة في القرآن الكريم ، نجد أن ما يتعلق بموضوع البحث فيما قاله المفسرون ينحصر في آيتين اثنتين :

أولاهما : آية سورة العنكبوت ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾ ، وتناولوا فيها أمرين كذلك ، أحدهما : لماذا قال ألف سنة إلا خمسين عاما ، ولم يقل : خمسمائة وتسعين ، والثاني : لماذا خالف بين التمييزين فقال مرة سنة ومرة عاما .

---

(1) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم (سنو) 602/1

وأجاب القرطبي عن الأول بقوله : " فإن قيل: فلم قال ﴿ ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾ ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما ؟ ففيه جوابان: أحدهما : أن المقصود به تكثير العدد ، فكان ذكره الأَلْفَ أكثر في اللفظ وأكثر في العدد . الثاني : ما روي أنه أُعطي من العمر ألف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده، فلما حضرته الوفاة رجع في استكمال الألف ، فذكر الله تعالى ذلك تنبيها على أن النقيصة كانت من جهته " [1].

وذكر الماوردي الجوابين بنصهما في النكت والعيون في قوله : " فإن قيل فلم قال { أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً } ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً فعنه جوابان :

أحدهما : أن المقصود به تكثير العدد فكان ذكر الألف أفخم في اللفظ وأكثر في العدد . الثاني: ما روي أنه أعطي من العمر ألف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة راجع في استكمال الألف فذكر الله ذلك تنبيهاً على أن النقيصة كانت من جهته " [2].

وفي فتح القدير : " قيل : ووقع في النظم إلاّ خمسين عاماً ولم يقل : تسعمائة سنة وخمسين؛ لأن في الاستثناء تحقيق العدد بخلاف الثاني ، فقد يطلق على ما يقرب منه " [3].

وقريب منه ما ذكره الألوسي : " ولعل ما عليه النظم الكريم في بيان مدة لبثه عليه السلام للدلالة على كمال العدد وكونه متعيناً نصاً دون تجوز فإن تسعمائة

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 334/13

(2) النكت والعيون 278/3

(3) فتح القدير 196/4

وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة لأنها أول ما تقرع السمع فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته " [1].

أما ذكره السنة مرة والعام أخرى ، فنجد عند الألوسي : " واختلاف المميزين لما في التكرير في مثل هذا الكلام من البشاعة ، والنكتة في اختيار السنة أولاً أنها تطلق على الشدة والجدب بخلاف العام فناسب اختيار السنة لزمان الدعوة الذي قاسى عليه السلام فيه ما قاسي من قومه " [2].

وفي تاج العروس : " ونقل الشهاب السنباطى في شرح النقاية في بحث المترادف عن الراغب أن استعمال السنة في الحول الذى فيه الشدة والجدب والعام الذى فيه الرخاء والخصب . قال: وبهذا تظهر النكتة في قوله تعالى ﴿ ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾ حيث عبر عن المستثنى بالعام وعن المستثنى منه بالسنة ؛ لأن الخمسين سنة مضت قبل بعثته وقبلها لم يحصل له أذى من قومه وأما من بعثته فهي شدة عليه ، وغلبت السنة على عام القحط فإذا أطلقت تبادر منها ذلك " [3].

فنحن الآن أمام الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي يمكن أن يؤخذ منه أن لفظ العام يدل على زمن الخصب ، عكس لفظ السنة – الدالة

(1) تفسير الألوسي 143/20 ، وهو بنصه تقريبا في تفسير البيضاوي ص 526

(2) تفسير الألوسي 143/20 ، معزوا إلى ابن عطية في المحرر الوجيز ، وفي تفسير البيضاوي ص 526 ذكر للسبب الأول ، وهو لما في التكرير من البشاعة .

(3) تاج العروس 173/38

على معنى الحول – الذي يدل على القحط والشدة [1]، على حسب قول ابن عطية والألوسي وغيرهما ، وهو قول غير مسلَّم به ، ولا نجده عند جمهور المفسرين ، بالإضافة إلى أن هذا الرأي أمامه اعتراضات عدة ، أهمها : أنه يقتضي أن نوحا عليه السلام لبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة – وهي فترة الشدة – ثم عاش خمسين سنة بعدها – وهي فترة الراحة والرخاء – وهو ما لم يقل به أحد من المفسرين ، ففي التفاسير عدد من الروايات في مدة عمر نوح عليه السلام ، وأكثرها على أنه عليه السلام عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين ، ففي تفسير الطبري : " ثنا عون بن أبي شداد، قال: إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة " [2].

وأورد القرطبي ملخصا لتلك الروايات في قوله : " واختلف في مبلغ عمره ، فقيل: مبلغ عمره ما ذكره الله تعالى في كتابه ؛ قال قتادة: لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ودعاهم ثلاثمائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقال ابن عباس: بعث نوح لأربعين سنة ، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الغرق ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

(1) وجود معنيين للفظ السنة ، أحدهما بمعنى الحول والآخر بمعنى الشدة متفق عليه كما مرّ من شواهد فترة ما قبل الإسلام ، ولكن الاعتراض هاهنا أن يكون لفظ السنة بمعنى الحول محملا بالدلالة على القحط والشدة في مقابل قصر العام للدلالة على الخصب .

(2) تفسير الطبري 87/20

وعنه أيضا: أنه بعث وهو ابن مئتين وخمسين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان مائتي سنة.

وقال وهب: عمر نوح ألفا وأربعمائة سنة.

وقال كعب الأحبار: لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين عاما.

وقال عون بن شداد: بعث نوح وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان مبلغ عمره ألف سنة وستمائة سنة وخمسين سنة ونحوه عن الحسن.

قال الحسن: لما أتى ملك الموت نوحا ليقبض روحه قال: يا نوح كم عشت في الدنيا ؟ قال: ثلاثمائة قبل أن أبعث، وألف سنة إلا خمسين عاما في قومي، وثلاثمائة سنة وخمسين سنة بعد الطوفان " [1].

فليس فيها أنه عليه السلام عاش بعد الطوفان خمسين سنة فحسب ، حتى تكون هي المدة التي من أجلها ذُكر لفظ العام .

وبمثل ذلك يمكن الاعتراض على الفترة التي سبقت بعثته ، فهي لم تكن فترة شدة بلا خلاف ، وهي داخلة في مدة الألف سنة إلا خمسين عاما في بعض الأقوال ، يقول الألوسي : " والفاء للتعقيب ، فالمتبادر أنه عليه السلام لبث في قومه عقيب الإرسال المدة المذكورة وقد جاء مصرحاً به في بعض الآثار . وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون ما ذكر الله عز وجل مدة إقامته عليه السلام من لدن مولده إلى غرق قومه ، وقيل : يحتمل أن يكون

(1) الجامع لأحكام القرآن 334/13 ، وانظر تفسير الألوسي 143/20 ، والنكت والعيون 279-278/3

ذلك جميع عمره عليه السلام ، ولا يخفى أن المتبادر من الفاء التعقيبية ما تقدم " [1].

وأشار البيضاوي إلى مثل ذلك في قوله : " وليس في الآية إلاّ أنه لبث فيهم هذه المدة ، وهي لا تدل على أنها جميع عمره . فقد تلبث في غيرهم قبل اللبث فيهم ، وقد تلبث في الأرض بعد هلاكهم بالطوفان والفاء في { فَأَخَذَهُمُ الطوفان } للتعقيب ، أي أخذهم عقب تمام المدة المذكورة " [2].

فدل اختلاف الروايات في عمره عليه السلام ، وهل لبث في قومه قبل التسعمائة والخمسين سنة زمنا أم لا ، وكم مكث بعد الطوفان ؛ أن القول بأن السنة في الآية الكريمة ذُكرت لتوحي بزمن الشدة ، وأن العام ذُكر ليدل على عكس ذلك أمر فيه نظر ، والظاهر من النص أن اللفظين هاهنا مترادفان ، يدلان كلاهما على معنى الحول ، وأن التعاقب بين اللفظين في الآية لما في التكرير من نزول عن مرتبة البلاغة .

وهذه الأقوال التي تذهب إلى أن لفظ العام يدل على الزمان المجرد – قد يكون خصيبا وقد يكون مجدبا – يؤيدها ما ذكره النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب : " أما الفرق بين السنة والعام، فإنهم يقولون سنة جدب و عام خصب. قال الله تعالى: ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ﴾ . وقال تعالى: ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ . والصحيح أنهما اسمان موضوعان على مسمى واحد. قال الله تعالى: ﴿ فلبث

(1) تفسير الألوسي 143/20

(2) فتح القدير 196/4

فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴾ " 1 ، ومقصوده أنهما موضوعان على مسمى واحد في الدلالة على الفترة المعروفة من الزمان .

وإذا أردت دليلا إضافيا على ذلك من أقوال المفسرين أنفسهم رحمهم الله، فراجع أقوالهم المنقولة في الأسطر الماضية ، ولاحظ تعبيرات من مثل : وعاش بعد الغرق ستين سنة – ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة – فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين عاما – فكان مبلغ عمره ألف سنة وستمائة سنة وخمسين سنة ونحوه عن الحسن . إنهم يتحدثون عن فترة ما بعد الطوفان مميزين إياها بالسنة ، بينما تلك الفترة عند من يفرق بين دلالة اللفظين في الآية هي فترة الرخاء التي من أجلها ذُكر لفظ العام !

أما الآية الثانية التي يتصل ما قاله المفسرون فيها بموضوع البحث ، فهي قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

يقول الطبري : " ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين ، يقول: بالجُدوب سنة بعد سنة ، والقحوط ، يقال منه : "أسْنَتَ القوم"، إذا أجدبوا " [2].

ويذهب القرطبي إلى أن دلالة السنة على القحط والشدة إنما هو من قبيل إقامة المضاف إليه مقام المضاف ، حيث يقول : " قوله تعالى: ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ يعني الجدوب . وهذا معروف في اللغة، يقال:

(1) نهاية الأرب 152/1

(2) تفسير الطبري 19/9

أصابتهم سنة، أي جدب ، وتقديره جدب سنة 000 وسنين جمع سنة ، والسنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول " [1].

ولأبي حيان رأي آخر في اشتقاق هذه الدلالة ، يقول : " ومعنى بالسنين : بالقحوط والجدوب، والسنة تطلق على الحول وتطلق على الجدب ضد الخصب ، وبهذا المعنى تكون من الأسماء الغالبة كالنجم والدّبران ، وقد اشتقوا منها بهذا المعنى فقالوا أسنت القوم إذا أجدبوا ومنه قوله :

0000 0000 000 ورجال مكة مسنتون عجاف " [2].

أما لفظ العام فقد ورد في القرآن الكريم تسع (9) مرات ، كالتالي :

البقرة 259/2 (مكرر) ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ 000 قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾

التوبة 28/9 ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾

التوبة 37/9 (مكرر) ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً ﴾

التوبة 126/9 ﴿ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾

يوسف 49/12 ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

العنكبوت 14/29 ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً ﴾

لقمان 14/31 ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ 1

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 263/7-264

(2) البحر المحيط 369/4

وليس هناك خلاف بين المفسرين في أن المقصود بلفظ العام المجرد في جميع تلك المواضع هو معنى السنة والحول ، دون ارتباط بخصب أو قحط ، أو يسر أو شدة ، إلا بالنص على ذلك أو بدلالة السياق ، كأن يقال : عام خصيب ، أو عام شديد ونحوه . وهذا بخلاف لفظ السنة الذي يأتي أحيانا مرادفا لمعنى العام ، وأحيانا يدل – بذاته دون وصف – على القحط والشدة ، ولعل في قول الخليل في العين في باب السين والنون : " والسَّنَةُ: العامُ القَحْط "2 تلخيص لهذا المعنى . وهذا القول هو القول المعتمد عند المحدثين ، ففي معجم لغة الفقهاء : " عام السنة: عام الجدب والقحط والجفاف " [3].

ب. في الحديث الشريف :

ورد لفظ السَّنَة في الحديث النبوي في مواضع كثيرة بمعنى الحول ، ففي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي " [4]

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم (عوم) 805.804/2

(2) كتاب العين للخليل (سنن) 286/2

(3) معجم لغة الفقهاء 203/1

(4) صحيح البخاري 1911/4 كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفتح الباري 43/9

وفي حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ " [1].

وفي صحيح البخاري كذلك : قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ قَالَ فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ " [2].

وفي حديث لأنس بن مالك : " فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَقُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ " [3] .

وروى في حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ " [4]

وفي حديث آخر لعائشة في صحيح مسلم أَنَّ سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ سَالِمًا – لِسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ – مَعَنَا فِي بَيْتِنَا وَقَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَلِمَ مَا يَعْلَمُ الرِّجَالُ قَالَ

---

(1) صحيح البخاري 1881/4 كتاب التفسير ، حديث رقم 4651 ، وفتح الباري 551/8

(2) صحيح البخاري 1139/3 كتاب فرض الخمس ح 2961 ، وفتح الباري 228/6

(3) صحيح البخاري 1303/3 كتاب المناقب ح 3355/3354 ، وفتح الباري 564/6

(4) صحيح البخاري 1250/3 كتاب أحاديث الأنبياء ح 3226 ، وفتح الباري 441.440/6

أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ قَالَ فَمَكَثْتُ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا لَا أُحَدِّثُ بِهِ وَهِبْتُهُ ثُمَّ لَقِيتُ الْقَاسِمَ فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا مَا حَدَّثْتُهُ بَعْدُ قَالَ فَمَا هُوَ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ فَحَدِّثْهُ عَنِّي أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْنِيهِ " [1].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ قَالَ : " خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ " [2]

ومن ذلك أيضا ما ورد في في موطأ مالك في حديث طويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ في فضل يوم الجمعة : " قَالَ كَعْبٌ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ كَذَبَ كَعْبٌ فَقُلْتُ ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ فَقَالَ بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ " [3].

وفيه كذلك عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ قَالَ : " كَانَتْ عِنْدَ جَدِّي حَبَّانَ امْرَأَتَانِ هَاشِمِيَّةٌ وَأَنْصَارِيَّةٌ فَطَلَّقَ الْأَنْصَارِيَّةَ وَهِيَ تُرْضِعُ فَمَرَّتْ بِهَا سَنَةٌ ثُمَّ هَلَكَ عَنْهَا وَلَمْ تَحِضْ " [4]

وفي بَاب الْقَضَاءِ فِي الرَّهْنِ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ قَالَ يَحْيَى : سَمِعْت قَوْله تَعَالَى يَقُولُ فِي الرَّجُلَيْنِ يَكُونُ لَهُمَا رَهْنٌ بَيْنَهُمَا فَيَقُومُ أَحَدُهُمَا بِبَيْعِ رَهْنِهِ وَقَدْ كَانَ الْآخَرُ أَنْظَرَهُ بِحَقِّهِ سَنَةً " [5].

---

(1) صحيح مسلم 4/168-169 باب رضاعة الكبير .

(2) صحيح مسلم 7/73-74 باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا

(3) شرح الزرقاني على موطأ مالك 1/225 باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ، ح 239

(4) شرح الزرقاني على موطأ مالك 3/196 باب طلاق المريض ، ح 1241

(5) شرح الزرقاني على موطأ مالك 4/8 باب القضاء في الرهن يكون بين الرجلين ، ح 1478

وقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ الْغُلَامُ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ أَوْ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً قَالَ فَأَوْصَى بِبِئْرِ جُشَمٍ فَبَاعَهَا أَهْلُهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ " [1]

وحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا [2]

فدلالة لفظ السنة في كل المواضع السابقة جاءت بمعنى الحول ، من غير ارتباط بالشدة أو الخصب ، وذلك يتضح بالتأمل في مدلولاتها ، ففي حديث أنس: " فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ " ساوى في الدلالة بين الفترة التي قضاها صلى الله عليه وسلم في كل من مكة والمدينة ، معبرا عنها جميعا بلفظ السنة ، مع اختلاف حال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ما بين مكة والمدينة . وكذلك تعبيره عن أنه خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين ، فهذه كانت أفضل فترات حياة أنس رضي الله عنه ، وعبّر عنها بلفظ السنة . وهكذا بالتأمل في باقي الأحاديث لا نكاد نلمح فارقا في هذا الجانب .

وفي مواضع أخرى ورد لفظ السنة بمعناه الآخر ، وهو الدلالة على الشدة والقحط، ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : " أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ الناس على المنبر يَوْمِ جُمُعَةٍ إذ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا " [3].

---

(1) شرح الزرقاني على موطأ مالك 61/4 باب جواز وصية الصغير والضعيف ، ح 1532

(2) شرح الزرقاني على موطأ مالك 19/2 باب ما جاء في القرآن ، ح 480

(3) صحيح مسلم 25/3 باب الدعاء في الاستسقاء ، وفتح الباري 413/2 كتاب الجمعة .

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنْ النَّاسِ إِدْبَارًا قَالَ اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجِيَفَ وَيَنْظُرَ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى الدُّخَانَ مِنْ الْجُوعِ " [1].

ومثله في دعاء للنبي صلى الله عليه وسلم على المشركين : " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ " [2].

وعَنْ جَبَلَةَ : كُنَّا بِالْمَدِينَةِ فِي بَعْضِ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَصَابَنَا سَنَةٌ فَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَرْزُقُنَا التَّمْرَ [3]

ففي المواضع السابقة ورد لفظ السنة بدلالة واضحة ، هي الشدة والقحط. ويُلاحظ أن لفظ السنة حينما يدل على معنى الشدة والقحط لا يدل على معنى الحول أو العام ، وذلك واضح في قوله: " اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ " ، فالشدة أخذتهم سبعا ، ومع هذا عبَّر عنها بلفظ السنة مفردا .

ولدينا موضعان آخران في الحديث النبوي ، ورد فيهما لفظ السنة بمعنى القحط ، ولهما أهمية في توضيح معنى أشار إليه بعض من تحدث في الفرق بين لفظتي السنة والعام ، وهو ما رواه البخاري عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ

(1) فتح الباري 493/2 كتاب الاستسقاء

(2) فتح الباري 492/2 كتاب الاستسقاء

(3) صحيح البخاري 867/2 كتاب المظالم ح 2323

أَبِيهِ قَالَ أَخْبَرَنِي مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ قَالَ أَصَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رُعَافٌ شَدِيدٌ سَنَةَ الرُّعَافِ حَتَّى حَبَسَهُ عَنْ الْحَجِّ " [1]

فهذا الحديث فيه رد على ما ورد في الفروق اللغوية : " 000ولهذا يقال عام الفيل ولا يقال سنة الفيل ، ويقال في التاريخ سنة مائة وسنة خمسين ولا يقال عام مائة وعام خمسين ، إذ ليس وقتا لشيء مما ذكر من هذا العدد ، ومع هذا فإن العام هو السنة والسنة هي العام وإن اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر مما ذكرناه " [2] ، فقد ذكر هاهنا " سنة الرعاف " ، ولم يقل : عام الرعاف . فهذه مخالفة بالشواهد لفارق آخر من الفروقات الوهمية بين اللفظين .

أما الموضع الثاني فهو ما ورد في حديث عن جَبَلَةُ بْنُ سُحَيْمٍ قَالَ :" أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَرَزَقَنَا تَمْرًا " [3] ففيه تأييد لما أورده القرطبي من أن دلالة السنة على القحط والجدب إنما هو من قبيل إقامة المضاف إليه مقام المضاف ، وذلك حيث قال : " قوله تعالى: ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ يعني الجدوب . وهذا معروف في اللغة، يقال: أصابتهم سنة، أي جدب ، وتقديره جدب سنة 000 وسنين جمع سنة ، والسنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول " [4]. وقد مرّ بنا قول القرطبي هذا فيما سبق .

---

(1) صحيح البخاري 1362/3 كتاب المناقب ح 3512-3513

(2) الفروق اللغوية ص 270 وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفرق الذي ذكره أبو هلال وغيره ، مبني على أن العام جمع أيام ، والسنة جمع شهور ، لذا فالعام عنده يفيد كونه وقتا لشيء وأما السنة فلا تفيد ذلك ! وهو تكلف واضح وليس له دليل يُعتمد عليه .

(3) صحيح البخاري 2075/5 كتاب الأطعمة ح 5131

(4) الجامع لأحكام القرآن 263/7-264

نشير الآن إلى بعض المواضع التي ورد فيها لفظ العام في الحديث الشريف ، من ذلك ما رواه البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ : " إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ " [1]

كما روى في حديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ" [2]

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا " [3]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي الْعَام الَّذِي قُبِضَ فِيهِ " [4]

ففي الشواهد السابقة من الحديث النبوي الشريف نجد أن لفظ العام أتى بدلالة واحدة ، هي الدلالة المرادفة للسنة بمعنى الحول ، دون اختصاص بالدلالة على معنى الخصب كما ذهب بعضهم ، أكثر من ذلك أننا نجد لفظ العام يستخدم في مواضع الدلالة على الشدة والقحط ، ففي صحيح البخاري

(1) صحيح البخاري 779/2 كتاب البيوع ، ح 2121

(2) صحيح البخاري 959/2 كتاب الصلح ، ح 2549

3) صحيح البخاري 2398/5 كتاب بدء الخلق ، ح 6186

(4) صحيح البخاري 1911/4 ح 4712 ، وفتح الباري 43/9

عن سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَابِسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ : أَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ ؟ قَالَتْ : مَا فَعَلَهُ إِلَّا فِي عَامٍ جَاعَ النَّاسُ فِيهِ فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ " [1] ، فاستخدمت رضي الله عنها لفظ العام في الإشارة على عام قحط جاع فيه الناس .

ونجد مما ذكره بعض المعجميين أن هناك علاقة خصوص وعموم بين السنة والعام ، فالعام يأتي على شتوة وصيفة متواليين ، أما السنة فتدل على أي وقت من الحول إلى مثله ، يقول الفيومي في المصباح المنير : " وَالْعَامُ الْحَوْلُ وَالنِّسْبَةُ إلَيْهِ عَلَى لَفْظِهِ فَيُقَالُ نَبْتٌ عَامِّيٌّ إذَا أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ فَهُوَ يَابِسٌ وَالْعَامُ فِي تَقْدِيرِ فَعَلٍ بِفَتْحَتَيْنِ وَلِهَذَا جُمِعَ عَلَى أَعْوَامٍ مِثْلُ سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ . قَالَ ابْنُ الْجَوَالِيقِيِّ : وَلَا تَفْرُقُ عَوَامُّ النَّاسِ بَيْنَ الْعَامِ وَالسَّنَةِ وَيَجْعَلُونَهُمَا بِمَعْنًى فَيَقُولُونَ لِمَنْ سَافَرَ فِي وَقْتٍ مِنْ السَّنَةِ أَيِّ وَقْتٍ كَانَ إلَى مِثْلِهِ عَامٌ وَهُوَ غَلَطٌ وَالصَّوَابُ مَا أُخْبِرْتُ بِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ السَّنَةُ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ عَدَدْتَهُ إلَى مِثْلِهِ وَالْعَامُ لَا يَكُونُ إلَّا شِتَاءً وَصَيْفًا .

وَفِي التَّهْذِيبِ أَيْضًا الْعَامُ حَوْلٌ يَأْتِي عَلَى شَتْوَةٍ وَصَيْفَةٍ وَعَلَى هَذَا فَالْعَامُ أَخَصُّ مِنْ السَّنَةِ فَكُلُّ عَامٍ سَنَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ سَنَةٍ عَامًا وَإِذَا عَدَدْتَ مِنْ يَوْمٍ إلَى مِثْلِهِ فَهُوَ سَنَةٌ وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ نِصْفُ الصَّيْفِ وَنِصْفُ الشِّتَاءِ وَالْعَامُ لَا يَكُونُ إلَّا صَيْفًا وَشِتَاءً مُتَوَالِيَيْنِ " [2].

---

(1) صحيح البخاري 2068/5 كتاب الأطعمة ، ح 5107

(2) المصباح المنير (عوم) ص 260 ، ومثله في تاج العروس (عوم) 90/33 ، وخزانة الأدب 157/2 ، وتصحيح التصحيف 372،373 ، وكله عن ثعلب .

وإذا كان هذا الكلام سائرا في المعاجم ، فإن لدينا شواهد مؤيدة له وشواهد أخرى على خلافه كذلك ، فالذي يؤيده ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا كَانَ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَذَكَرَ أَنَّ النَّارَ اشْتَكَتْ إِلَى رَبِّهَا فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ " [1]

وأما الذي يخالفه فمنه ما رواه مسلم أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كذلك قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ " [2] ، فيلاحظ أن العام هاهنا معناه ما ذكروه في معنى السنة : من أي يوم عددته إلى مثله ، حيث إن الحج يأتي في وقت محدد من السنة .

والذي يتتبع هذه المقولة يجد أنها مروية عند كل من أوردوها عن ابن الجواليقي عن أحمد بن يحيى ثعلب ، وهو وإن كان إماما في العربية إلا أنه شخص واحد [3] ، ولعل حذو المعجميين حذوه يرجع إلى افتتانهم بالفروق اللغوية ، ونزوعهم – شأن مستخدمي اللغة أنفسهم – إلى إيجاد فروق مهما دقت بين الألفاظ التي تستخدم استخداما واحدا .

ويؤيد هذا ما ورد في تاج العروس : " والْخَرِيفُ : السَّنَةُ والْعَامُ ومنه الحديثُ : فُقَرَاءُ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً . قال ابنُ الأَثِيرِ : هُوَ

---

(1) صحيح مسلم 108/2 باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر .

(2) صحيح مسلم 102/4 باب فرض الحج في العمر مرة .

(3) ترجمته في سير أعلام النبلاء 5/14-7 ، وله ترجمة وافية في مقدمة مجالس ثعلب 9/1-22

الزَّمَانُ المعرُوفُ في فُصُولِ السَّنَةِ ما بَيْنَ الصَّيْفِ والشِّتَاءِ ويُرِيدُ أَربعينَ سَنَةً لأَنَّ الخَرِيفَ لا يَكُونُ في السَّنَةِ إِلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فإِذا انْقَضَى أَرْبعون خَرِيفاً فقد مَضَتْ أَربعونَ سَنَةً . ومنه الحديثُ الآخَرُ : إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَدْعُونَ مَالِكاً أَرْبعينَ خَرِيفاً . وفي حديثٍ آخَر: مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الْخَازِنِ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ خَرِيفٌ أَراد مَسَافَةً تُقْطَعُ مِن الخَرِيفِ إِلَى الخَرِيفِ وهو السَّنَةُ ثم إِنَّه ذَكَر العامَ والسَّنَةَ وإِن كان أَحَدُهما يُغْنِي عن الآخَرِ إِشَارَةً إِلَى ما فيهما مِن الفَرْقِ الذي ذَكَرَه أَئِمَّةُ الفِقْهِ مِن اللُّغَةِ وفَصَّلَهُ السُّهَيْلِيُّ في الرَّوْض وسَنذْكُره في مَوْضِعِه إِن شاءَ اللهُ تعالَى " [1].

فها هي السنة تُحسب بالخريف والصيف والشتاء ، ولا يُشترط فيها أن تكون من وقت محدد إلى مثله من الحول التالي .

والطريف أن ثعلب نفسه – مع أنه منبع هذا الفرق ذائع الصيت – يخالفه ولا يعتد به في كتاباته ، فمما ورد في مجالس ثعلب : " ... فكان أبو طالب يدان لسقاية الحاج حتى أعوزه ذلك، فقال لأخيه، العباس بن عبد

(1) تاج العروس (خرف) 104/23 ، والموضع الذي أشار إليه صاحب التاج ورد في (عوم) 90/33 وذكر فيه ميل الفيروزابادي للقول بترادف السنة والعام ، وذكر أقوال مخالفيه أيضا ، وذكر قول الراغب في المفردات : " والذى في المفردات للراغب ما نصه فالعام كالسنة لكن كثيرا ما تستعمل السنة في الحول الذى يكون فيه الجدب والشدة ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة والعام فيما فيه الرخاء والخصب " ، كما أورد رأي السهيلي في الروض الأنف : " وقال السهيلي في الروض السنة أطول من العام وهو دورة من دورات الشمس والعام يطلق على الشهور العربية بخلاف السنة فتأمل فيه مع ما نقله شيخنا " ، [الروض الأنف للسهيلي 65/2-66]. وقد أعاد صاحب التاج ذكر جزء من هذا الكلام في (سنو) 173/38وفيه " (والسنة : العام) وتقدم له في الميم تفسير العام بالسنة فهذا يدل على أنهما واحد وقد غلطه ابن الجواليقى على ما تقدم هناك " .

المطلب – وكان أكثر بني هاشم مالاً في الجاهلية : يا أخي، قد رأيت ما دخل علي، وقد حضر الموسم، ولا بد لهذه السقاية من أن تقام للحاج، فأسلفني عشرة آلاف درهم. فأسلفه العباس إياها، فأقام أبو طالب تلك السنة بها وبما احتال، فلما كانت السنة الثانية، وأفد الموسم، قال لأخيه العباس: أسلفني أربعة عشر ألف درهم... بني هاشم ففعل أبو طالب، وأعاره العباس الأربعة العشر الألف بمحضر منهم ورضاً. فلما كان الموسم العام المقبل لم يكن بد من إقامته السقاية، فقال العباس لأبي طالب: قد أفد الحج، وليس لدفع حقي إلى وجه، وأنت لا تقدر أن تقيم السقاية، فدعني وولايتها أكفلها وأبرئك من حقي. ففعل، فكان العباس ابن عبد المطلب يليها وأبو طالب حي، ثم تم لهم ذلك إلى اليوم [1] ".

ومما يقوي مقولة الترادف بين اللفظين من شواهد الحديث الشريف ما روي في سنن ابن ماجة عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ النَّجْرَانِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أُسْلِمُ فِي نَخْلٍ قَبْلَ أَنْ يُطْلِعَ قَالَ لَا قُلْتُ لِمَ قَالَ إِنَّ رَجُلًا أَسْلَمَ فِي حَدِيقَةِ نَخْلٍ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُطْلِعَ النَّخْلُ فَلَمْ يُطْلِعْ النَّخْلُ شَيْئًا ذَلِكَ الْعَامَ فَقَالَ الْمُشْتَرِي هُوَ لِي حَتَّى يُطْلِعَ وَقَالَ الْبَائِعُ إِنَّمَا بِعْتُكَ النَّخْلَ هَذِهِ السَّنَةَ فَاخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِلْبَائِعِ أَخَذَ مِنْ نَخْلِكَ شَيْئًا قَالَ لَا قَالَ فَبِمَ تَسْتَحِلُّ مَالَهُ ارْدُدْ عَلَيْهِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ وَلَا تُسْلِمُوا فِي نَخْلٍ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهُ " [2] فهذا نص واضح في ترادف السنة والعام .

(1) مجالس ثعلب 29/1-30

(2) سنن ابن ماجة 67/2 باب إذا أسلم في نخل بعينه ، ح 2284

كما نجد في استخدام أجلاء العلماء للفظين استقرار ترادفهما عندهم ، فمثال ذلك قول الإمام مَالِك : الْأَمْرُ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ عِنْدَنَا فِي الدَّيْنِ أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يُزَكِّيهِ حَتَّى يَقْبِضَهُ وَإِنْ أَقَامَ عِنْدَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ سِنِينَ ذَوَاتِ عَدَدٍ ثُمَّ قَبَضَهُ صَاحِبُهُ لَمْ تَجِبْ عَلَيْهِ إِلَّا زَكَاةٌ وَاحِدَةٌ 000 قَالَ مَالِك وَالدَّلِيلُ عَلَى الدَّيْنِ يَغِيبُ أَعْوَامًا ثُمَّ يُقْتَضَى فَلَا يَكُونُ فِيهِ إِلَّا زَكَاةٌ وَاحِدَةٌ أَنَّ الْعُرُوضَ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ لِلتِّجَارَةِ أَعْوَامًا ثُمَّ يَبِيعُهَا فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي أَثْمَانِهَا إِلَّا زَكَاةٌ وَاحِدَةٌ [1] . فالإمام يستخدم اللفظين في سياق واحد للدلالة على الأمر ذاته ، فليس لذلك تفسير إلا القول بترادفهما.

إن كل ما ذكرناه من الشواهد المعتبرة أو من أقوال العلماء يجعلنا نقف أمام حقيقة واضحة ، هي القول بترادف لفظتي السنة والعام في الدلالة على الزمن، وأن الفروق المختلفة التي تكلفها المعجميون مردود عليها بشواهد معتبرة من عصور الاحتجاج . ولا يرد على هذا بما قاله بعضهم من أن الحديث الشريف لا يحتج به في قضايا اللغة ، لأن الراوي قد يغير من ألفاظه حسب قوة ذاكرته ؛ ونقول ردا على ذلك : إن رواية وتدوين الحديث النبوي الشريف تم في عصور الاحتجاج ، فالراوي الذي يغير في ألفاظ الحديث الذي يرويه – هذا إن غيَّر – هو نفسه يُحتج بكلامه في اللغة ، فتأمل .

وهذه الشواهد السابقة وغيرها يؤيدها ما ذكره الفيروزابادي[2] في القاموس المحيط: " السَّنَةُ : العامُ ... والجدب ، والقَحْطُ ... والأرض

---

(1) شرح الزرقاني على موطأ مالك 106/2-107 ، ح 597

(2) توفي الفيروزابادي محمد بن يعقوب الشيرازي سنة 817 هـ . الأعلام 146/7

المجدبة "1. وفي موضع آخر جاء تعبير الفيروزابادي في القاموس المحيط : " والأُبَيْقِعُ: العامُ القَلِيلُ المَطَرِ. والبَقْعاءُ: السَّنَةُ المُجْدِبَةُ، أو فيها خِصْبٌ وجَدْبٌ "2 ، فقد استخدم لفظ العام للدلالة على الزمان قليل المطر . ونظيره قول الزبيدي في التاج : " والأُبَيْقِعُ مُصَغَّراً: العَامُ القَلِيلُ المَطَرِ وهو مَجَازٌ وإِنَّمَا صُغِّرَ لِلتَّهْوِيلِ ويُقَالُ أَيْضاً : عامٌ أَبْقَعُ إِذا بَقَّعَ فيهِ المَطَرُ . ومِنَ المَجَازِ أَيْضَاً : البَقْعَاءُ : السَّنَةُ المُجْدِبَةُ أَي هي الَّتِي فِيها خِصْبٌ وجَدْبٌ "[3].

ج. في الشعر حتى نهاية عصر الاحتجاج

وتجدر الإشارة إلى أن عددا من الشعراء الذين أوردت شواهد لهم هاهنا مخضرمون ، بمعنى أنهم عاشوا فترة من حياتهم قبل الإسلام وفترة أخرى بعده ، ولعلهم بذلك يكونون مرآة صادقة لأي تطور في لفظتي السنة والعام ، مما قد يكون حدث فيما بين العهدين .

فمما ورد في لفظ سنة بمعنى الحول ، للدلالة المجردة على الزمان :

قال دريد بن الصمة 4: [الوافر]

وبنيانُ الْقُبورِ أَتَى عليها طَوالُ الدَّهْرِ من سَنَةٍ وشَهْرِ 5

(1) القاموس المحيط (سنو) المجلد الثاني 347/4

(2) القاموس المحيط (بقع) المجلد الثاني 7/3

(3) التاج (بقع) 187/20

(4) هو دريد بن الصمة الجشمي البكري ، شاعر فارس من هوازن ، طال عمره وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وقُتل مشركا يوم حنين سنة 8 هـ . الأعلام 339/2 ، والمؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء 114

(5) خزانة الأدب 114/11

ويقول أعشى همدان 1: [المتقارب]

وحُدِّثْتُ أنَّ ما لنا رَجعة سِنينَ ومن بعدِها أَشْهرُ 2

ومن شعر عمران بن حطان السدوسي 3: [البسيط]

جاورتُهم سَنةً فيما أُسرُّ به عِرْضِي صحيحٌ ونَوْمِي غيرُ تهجاعِ 4

ويقول عدي بن الرقاع العاملي 5 : [الرمل]

حَمَلَتْهُ بازِلٌ كَوْدَانَةٌ في مِلادٍ ووعاءٍ كالجِرَابِ

سَنَةً حتى إذا ما أَحْوَلَتْ وَضَعَتْهُ بعدَ عَزْفٍ وَاضْطِرَابِ 6

وله أيضا : [البسيط]

زالتْ قُضاعةُ عنها بعدما سَكَنتْ بها سِنينَ فصارتْ أهلها مُضَرُ 7

وقال عدي بن الرقاع : [الخفيف]

صادَفوا مِن غَوائلِ الدَّهْرِ غَوْلاً بعدَما أَنْجَدُوا سِنينَ وغارُوا 1

(1) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني ، شاعر اليمانيين بالكوفة وفارسهم في عصره ، ويعد من شعراء الدولة الأموية، كان أحد الفقهاء القراء ، قتله الحجاج سنة 83 هـ. الأعلام 312/3 ، والمؤتلف والمختلف ص 14-15

(2) الصبح المنير في شعر الأعشى بصير والأعشين الآخرين ق 44/20 ص326

(3) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني ،كان من رجال العلم والحديث فالتحق بالخوارج وصار من خطبائهم وشعرائهم المعدودين . مات سنة 84 هـ . الأعلام

(4) شعر الخوارج ق 8/190 ص 163

(5) هو عدي بن زيد بن مالك ، من عاملة ، شاعر كبير من أهل دمشق ،كان مقدما عند بني أمية ، توفي 95 هـ . ترجمته في الأعلام 221/4 ، وفي مقدمة ديوانه ص 8- 101

(6) ديوان عدي بن الرقاع ق 1/ 10-11 ص 43

(7) ديوان عدي بن الرقاع (الذيل) ق 1/15 ص 255

ولجرير2 : [الوافر]

ألم يَكُ في ثلاثِ سِنينَ هَجْرٌ فقد طال التَّجَنُّبُ والصُّدودُ 3

ومن شعر الفرزدق 4 : [الكامل]

ومُغَلِّثِينَ مِنَ النُّعاسِ كأنما شَرِبُوا عَتِيقَ سِنينَ فوق الأَرْحُلِ 5

وأنشد الفارسي للصمة بن عبد الله القشيري 6: [الطويل]

دَعانِيَ مِن نَجدٍ فإنَّ سِنينَه ... لَعِبنَ بِنا شِيباً وشَيَّبنَنا مُرْدا 7

فهذه الشواهد وأمثالها ورد فيها لفظ السنة للدلالة على الزمان المجرد ، دون ارتباط بخصب أو قحط ، فإذا ما أريد للفظ أن يحمل بالدلالة على أيهما

(1) ديوان عدي بن الرقاع ق 5/81 ص 177

(2) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى ، من تميم ، من أشعر أهل عصره ، وله أخبار مشهورة مع الفرزدق . توفي 110 هـ ، وقيل بعد ذلك بقليل . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 5-7

(3) ديوان جرير ص 115

(4) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، شاعر مشهور من الطبقة الأولى ، له أخبار معروفة مع جرير والأخطل . توفي 110 هـ وقد قارب المائة . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 5-10

(5) ديوان الفرزدق ص 465

(6) شاعر أموي ، توفي سنة 95 هـ . الأعلام 209/3

(7) خزانة الأدب 58/8 ، وهو في المحكم لابن سيده (سنن) 220/4 وقوله في الخزانة تعقيبا على البيت 63/8 " والسنين جمع سنة ، وهي هنا إما بمعنى العام وإما بمعنى القحط " يرده ذكر الصمة للشيب والمرد ، فهما زمانان لا حالان للزمان حتى يقال إن السنة هنا قد تكون بمعنى القحط .

وُصف بذلك صراحة ، ومن شواهد ذلك قول أمية بن أبي الصلت1 : [الخفيف]

سَنَةٌ أزمةٌ تُخيَّلُ بالنا   سِ تَرى لِلْعِضاهِ فيها وأَوْفَى صَرِيرا 2

ومما يُروى لرؤبة بن العجاج 3: [الرجز]

بِمُسْفِرَاتٍ تَكْشِفُ النُّحُوسَا   إذا شَكَوْنَا سَنَةً حَسُوسَا 4

وله كذلك : [الرجز]

يا فَضْلُ ما سَيْبُكَ بالإزعاجِ   هل أنتَ مُلْقٍ عن أخٍ محتاجِ

دَيْنًا ملحًّا قَتَبَ الأَحْدَاجِ   عاذَ بكم مِن سَنَةٍ مِسْحَاجِ 5

وقال الأعشى 6: [مجزوء الكامل]

لعبت به الحُمَّى سِنيـ   ـنَ وكان من أصحابِها 7

---

(1) هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، شاعر جاهلي من أهل الطائف ، كاد أن يسلم ولكنه امتنع. توفي 5 هـ . الأعلام 23/2 ، وله ترجمة وافية في مقدمة ديوانه 7-14

(2) ديوان أمية بن أبي الصلت 1/59 ص 73 ، وهو في الحيوان 466/4

(3) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، راجز من الفصحاء المشهورين ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، لما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة . توفي رؤبة سنة 145 هـ . الأعلام 34/3

(4) ديوان رؤبة ق 125/24 ص 70

(5) ديوان رؤبة ق 91/13-92 ص 32

(6) هو ميمون بن قيس بن جندل ، أبو بصير ، المعروف بأعشى قيس ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية واحد أصحاب المعلقات ، وأدرك الإسلام ولم يسلم . توفي 7 هـ. الأعلام 341/7

(7) ديوان الأعشى ق 39 / 45 ص 178

ومن شعر عامر بن الطفيل 1 : [الطويل]

إذا سَنَةٌ عَزَّتْ وطال طِوالُها وأَقْحَطَ عنها الْقَطْرُ وَاصْفَرَّ عُودُها 2

وتقول الخنساء 3 : [الوافر]

إذا نزلتْ بهم سَنَةٌ جَمادٌ أَبِيُّ الدَّرِّ لم تُكْسَعْ بِغُبْرِ 4

ويقول حسان بن ثابت 5 : [الرمل]

قُلْتُمُ بَدِّلْ فقد بَدَّلَكُم سَنَةً حَرَّى وحَرْبًا كاللَّهَبْ 6

وهذا الراعي النميري 1 يقول : [الكامل]

---

(1) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري ، أحد الشعراء الفرسان المعروفين في الجاهلية ، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم يريد الفتك به فرد الله كيده في نحره ، ومات في طريق عودته سنة 11 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 5–8

(2) ديوان عامر بن الطفيل ص 46 ويميل شارح الديوان إلى أن السنة هاهنا بمعنى القحط ، والسياق يرده ، فهي زمان موصوف بالقحط .

(3) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، أشهر شواعر العرب وأشعرهن ، من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي ، وأدركت الإسلام فأسلمت ولها مواقف بطولة مشهودة . توفيت رضي الله عنها سنة 24 هـ . الأعلام 86/2

(4) ديوان الخنساء ق 8/13 ص 181

(5) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنضاري ، شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وتوفي 54 هـ . الأعلام 175/2 ، وسير أعلام النبلاء 512/2

(6) ديوان حسان ص 28

وحديثُها كالقَطْرِ يسمعُه   راعي سِنينَ تتابعتْ جَدبا 2

ويقول جرير 3: [الوافر]

لعلَّ اللهَ يُرْجِعُكم إلينا   ويُفْنِي مالَكم سَنَةٌ وذِيبُ 4

ومن شعره كذلك : [الوافر]

إلى عبدِ العزيزِ شَكَوْتُ جَهْدًا   من البيضاءِ أو زَمَنِ الْقَتادِ

سِنينَ مع الْجَرادِ تَعَرَّقَتْنَا   فما تُبْقِي السّنونُ مع الْجَرادِ 5

ويلاحظ أن لفظ السنة في هذه الشواهد حين وُصف بالقحط أو الشدة ونحو ذلك ، لم يكتسب اللفظ الدلالة على ذلك بذاته ، وإنما اكتسبها من الوصف به ، ولا يغير من هذا الفرض أنه وُصف بالجدب والشدة وأخواتها ولم يرد موصوفا بالخصب ونحوه .

ولعلنا نتوقف هنا لنسجل هذا التطور الجزئي في التركيب ، فلفظ السنة الذي يدل على الحول أصبح من الشائع في تلك الفترة أن يُوصف – إن وُصف – بالشدة أو القحط أو الجدب، ولم يرد موصوفا بغير ذلك فيما طالعت من شعر تلك الفترة ، ولعل ذلك تأثرا بشيوع استخدام الدلالة الأخرى للفظ السنة ، التي يدل فيها – بذاته – على معنى الجدب والقحط . ولكن اللفظ مع ذلك

(1) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري ، لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل ، من فحول الشعراء ، عاصر جريرا والفرزدق وتوفي 90 هـ . الأعلام 188/4 ، وسير أعلام النبلاء 597/4-598 ، ومقدمة ديوانه ط-ع

(2) ديوان الراعي النميري (الملحق) 1/9 ص 300

(3) سبق التعريف به . توفي سنة 110 هـ .

(4) ديوان جرير ص 37

(5) ديوان جرير ص 92

لا نستطيع أن نقول إنه أصبح يدل بذاته على زمن الجدب أو الشدة ، بل إنه لا يزال يدل بذاته على معنى الحول لا غير ، وهو في هذا مرادف للفظ العام ، ولعل ذلك يتضح في قول أبي ذؤيب الهذلي 1: [الطويل]

وقد طفتُ مِن أحوالِها وأردتُها   سِنِينَ فأخشى بَعْلَها أو أهابُها

ثلاثةَ أعوامٍ فلما تَجَرَّمَتْ   تَقَضَّى شَبابِي وَاسْتَحارَ شبابُها 2

فقد عبَّر عن فترة معينة بلفظ السنين ، ثم عاد وفسرها بأنها ثلاثة أعوام ، مما يدل على أن معنى الترادف بين اللفظين كان حاضرا .

أما السنة بمعنى القحط أو الجدب ، دون ارتباط بالدلالة على الزمن ، فهو موجود ومستخدم ، ومن أمثلته قول الطِّرِمَّاح [3]: [الوافر]

بمُنْخَرِقٍ تَحِنُّ الريحُ فيه   حَنِينَ الْجُلْبِ في البلدِ السِّنِينِ [4]

وقد أشار أصحاب المعاجم إلى ذلك ، فقد نقل ابن منظور في لسان العرب : " ويقال هذه بِلادٌ سِنِينٌ أَي جَدْبةٌ قال الطرماح :

بمُنْخَرَقٍ تَحِنُّ الرِّيحُ فيهِ   حَنِينَ الجُلْبِ في البَلَدِ السِّنينِ

---

(1) هو خويلد بن خالد بن محرِّث ، أبو ذؤيب ، من بني هذيل ، شاعر فحل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وشارك في الغزو والفتوح . توفي 27 هـ . الأعلام 325/2

(2) البيت في شرح أشعار الهذليين ق 3/2-4 ج42/1-43 وفيه في البيت الثاني " ثلاثة أحوال ... علينا بهون " بدلا من " ثلاثة أعوام ... تقضى شبابي " . وهو بالرواية المثبتة في المتن في اللسان (حير) 222/4

(3) هو الحكم بن حكيم بن الحكم بن نقر ، شاعر من طيئ ، من فحول الشعراء ، وكان يعتقد مذهب الخوارج الأزارقة ، كان معاصرا وصديقا للكميت . توفي 125 هـ على التقريب . له مقدمة ضافية في مقدمة ديوانه ص 5 وما بعدها .

(4) ديوان الطرماح ق 54/35 ص 29

الأَصمعي : أَرضُ بني فلان سَنَةٌ إذا كانت مُجْدِبةً ، قال أَبو منصور : وبُعِثَ رائدٌ إلى بلد فوجده مُمْحِلاً فلما رجع سُئلَ عنه فقال : السَّنَةُ ، أَراد الجُدُوبة ، وفي الحديث : اللهم أَعِنِّي على مُضَر بالسَّنة 000 وفي حديث عمر رضي الله عنه أَنه كان لا يُجيز نكاحاً عامَ سَنَةٍ ، أَي عامَ جَدْبٍ ، يقول لعل الضيق يحملهم على أَن يُنْكِحُوا غيرَ الأَكْفاء ، وكذلك حديثه الآخر : كان لا يَقْطَعُ في عام سنةٍ ؛ يعني السارقَ " [1].

ومما ورد في لفظ العام في تلك الفترة (منذ البعثة النبوية وحتى نهاية عصر الاحتجاج اللغوي) :

يقول الأعشى 2 : [الطويل]

أطورينِ في عامٍ غزاةٌ ورحلةٌ ألا ليتَ قيسًا غَرَّقته القوابلُ 3

وله أيضا : [الخفيف]

كلَّ عامٍ يقود خيلاً إلى خيـ ـلٍ دِفاقًا غَداةَ غِبِّ الصِّقالِ4

وللأعشى أبيات أخر بذات المعنى .

ويقول زيد الخيل الطائي 5 : [الطويل]

(1) اللسان (سنه) 501/13

(2) سبق التعريف به . توفي 7 هـ

(3) ديوان الأعشى ق 2/26 ص 128

(4) ديوان الأعشى ق 62/1 ص 12

(5) هو زيد بن مهلهل بن منهب ، من طيئ ، من أبطال الجاهلية ، لقب زيد الخيل ، ولما أسلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم سماه زيد الخير . توفي عام أسلم في 9 هـ . ترجمته في مقدمة شعره بكتاب (شعراء إسلاميون) ص 129وما بعدها .

أفي كل عامٍ سيدٌ يَفْقِدُونَه تَحَكَّكُ مِن وَجْدٍ عليه الكَلاكِلُ 1

ويقول حميد بن ثور الهلالي 2: [الطويل]

أمانيُّ عامٍ بعدَ عامٍ تَعَلَّلَتْ بأمثالها بالناسِ عادٌ وتُبَّعُ 3

ومن شعر حسان بن ثابت4 : [الطويل]

سأهدي لها في كلِّ عامٍ قصيدةً وأقعدُ مَكْفِيًّا بيثربَ مُكْرَما 5

وله كذلك : [السريع]

عَتَّقَها الحانوتُ دهرًا فقد مَرَّ عليها فَرطُ عامٍ فَعامٍ 6

ومن شعر معن بن أوس [7] : [الطويل]

مطاعيمُ في البؤسى لمن يعتريهم ... إذا يشتكى في العامِ ذي السنةِ الأزمُ [8]

ويقول يزيد بن مفرغ الحميري 9 : [المديد]

(1) شعراء إسلاميون 6/39 ص 191

(2) هو حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري ، شاعر مخضرم حضر الجاهلية والإسلام ، وشهد حنينا مع المشركين ، ثم أسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم . توفي سنة 30 هـ. ترجمته في مقدمة ديوانه ح–ي

(3) ديوان حميد بن ثور ص 110

(4) سبق التعريف به . توفي سنة 54 هـ .

(5) ديوان حسان بن ثابت ص 218

(6) ديوان حسان بن ثابت ص 225

(7) من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، توفي 64 هـ . الأعلام 273/7

(8) منتهى الطلب من أشعار العرب 127/1

(9) هو يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري ، من أصل يمني من قبيلة يحصب ، ولد في البصرة ونشأ بها . توفي 69 هـ. الأعلام 183/8، وسير أعلام النبلاء 522/3

إنَّ عامًا صِرْتَ فيه أميرًا تَمْلِكُ الناسَ لَعامٌ عُجابُ 1

ويقول ابن الزبير الأسدي 2: [الطويل]

ففي كل عام عاشه الدهرَ صالحا عليَّ لرب العالمين له نذرُ 3

وفي شعر جميل بثينة 4 : [الكامل]

لن تستطيع إلى بثينةَ رجعةً بعدَ التفرقِ دونَ عامٍ مقبلِ 5

ويقول الراعي النميري 6 : [الطويل]

بويزِلُ عامٍ لا قلوصٌ مُمَلَّةٌ ولا عَوْزَمٌ في السنِّ فانٍ شَبيبُها 7

وللراعي أيضا : [الطويل]

نَعوسٌ إذا دَرَّتْ جَرورٌ إذا غَدَتْ بُوَيزِلُ عامٍ أو سَديسٌ كبازِلِ 8

و لجرير عدة أبيات نذكر منها : [الوافر]

ذَرَنَّ الفخرَ يا ابن أبي خُليدٍ وأَدِّ خَراجَ رأسِك كلَّ عامِ 9

وقوله : [الوافر]

(1) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ق 7/2 ص 63 ، وينسب هذا البيت كذلك لربيعة بن مقروم الضبي (المتوفى 16 هـ)

(2) عبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي الكوفي ، توفي سنة 75 هـ . الأعلام 87/4

(3) ديوان ابن الزبير الأسدي ق 3/18 ص 80

(4) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي ، من عشاق العرب ، توفي 82 هـ

(5) ديوان جميل بثينة ص 87

(6) سبق التعريف به

(7) ديوان الراعي النميري ق 1/8 ص 20

(8) ديوان الراعي النميري ق 14/57 ص 208

(9) ديوان جرير 464

متى تأتِ الرُّصافةَ تَخْزَ فيها كَخِزْيِكَ في المواسمِ كلَّ عامِ 1

وقوله : [الوافر]

تُفَدِّي عامَ بِيعَ لها جُبَيرٌ وتَزْعُمُ أنّ ذلك خيرُ عامِ 2

وللفرزدق : [الطويل]

ستأتيك مني كلَّ عامٍ قصيدةٌ مُحَبَّرَةٌ نُوَفِّيكَها كلَّ مَوْسِمِ 3

ويقول الطرماح4: [المديد]

منزلا كان لنا مرةً وطنًا نَحْتَلُّه كلَّ عامِ 5

ومن شعر الكميت 6 : [الطويل]

لهم كل عامٍ بدعةٌ يُحْدِثُونها أَزَلُّوا بها أتباعَهم ثم أوحلوا 7

ولأبي النجم العجلي : [الرجز]

وجِزْيَةَ الأهوازِ كلَّ عامِ 8

ففي جميع الشواهد السابقة ، ورد لفظ العام دالا على الزمن المعروف

---

(1) ديوان جرير ص 406

(2) ديوان جرير ص 406 ، وهو من ذات القصيدة التي منها البيت السابق .

(3) ديوان الفرزدق ص 525

(4) سبقت ترجمته . توفي سنة 125

(5) ديوان الطرماح 5/27 ص 227

(6) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة ، وكان عالما بلغات العرب وآدابها وأخبارها . توفي 126 هـ

(7) شرح هاشميات الكميت ق 37/4 ص 599

(8) ديوان أبي النجم ق 6/92 ص 422

، دون ارتباط ظاهر بخصب أو جدب . أما إذا أريد تحميله بأحد هذه المعاني فلابد أن يُوصف بها ، أو يأتي في السياق ما يدل عليه .

فمما ورد فيه لفظ العام محملا بالدلالة على الخصب ونحوه قول حميد بن ثور[1] : [الطويل]

بلى فاذكرا عامَ انْتَجَعْنَا وأهلُنا   مَدافِعَ دارًا والجنابُ خَصيبُ 2

وقوله كذلك : [الطويل]

تَتابَعَ أعوامٌ عليها هَزَلْنَها   وأقبلَ عامٌ يُنْعِشُ الناسَ واحدُ 3

ويُلاحظ هاهنا أنه استخدم لفظ العام في الشطر الأول محملا بالدلالة على زمن الجدب ، ثم استخدمه في الشطر الثاني محملا بالدلالة على الخصب ، ولذا فهو بيت عمدة فيما يخص هذا البحث ، لشاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام .

وفي شعر جران العود النميري 4 : [الطويل]

وصُهبٌ صَفايا قد أظلَّ نِتاجُها   مَجاليحُ في عامِ الثّمامِ المُجَزَّلِ 5

ولجميل بثينة : [الوافر]

ومِن مَجْرَى غَوارِبِ أُقْحُوانٍ   شَتِيتِ النَّبْتِ في عامٍ خَصيبِ 1

(1) سبق التعريف به ، توفي 30 هـ .

(2) ديوان حميد بن ثور ص 51

(3) ديوان حميد بن ثور ص 67

(4) هو عامر بن الحارث النميري ، وقيل في اسمه غير ذلك ، وهو الذي لقب نفسه بجران العود . أدرك الإسلام وسمع القرآن واقتبس منه كلمات وردت في شعره ، ولكن لا يُعرف زمن مولده ووفاته على التحديد . الأعلام 250/3 ، وانظر مقدمة ديوانه ، وص 1 ، 8 من الديوان .

(5) ديوان جران العود النميري ص 32

وفي المقابل فهناك أمثلة عديدة دل فيها لفظ العام على زمن القحط والجدب والشدة ، ومن شواهد ذلك في شعر تلك الفترة :

يقول أمية بن أبي الصلت 2 : [الكامل]

وأبو اليتامى كان يُحْسِنُ أَوْسَهم ويَحُوطُهم في كل عامٍ جامدِ 3

ومن شعر أبي ذؤيب الهذلي 4 : [الطويل]

إذا كان عامٌ مانعُ القَطْرِ ريحُهُ صَبًا وشَمالٌ قَرَّةٌ ودَبُورُ 5

ويقول الفرزدق 6 : [الطويل]

تَحِلُّ بيوتَ المعتفين إليهمُ إذا كان عامٌ خادعُ النوءِ مجدبُ 7

وللفرزدق كذلك : [البسيط]

عام أتى قبلَه عامان ما تَرَكا مالاً ولا بلَّ عُودًا فيهما مَطَرُ 8

وله أيضا : [الطويل]

مضت سنةٌ لم تُبْقِ مالاً وإننا لَننهضُ في عامٍ من المحلِ رادفِ1

---

(1) ديوان جميل بثينة ص 103

(2) توفي سنة 5 هـ ، وسبقت ترجمته قريبا .

(3) ديوان أمية بن أبي الصلت ق 1/47 ص 64 وفي شرح الأبيات : العام الجامد : عام القحط وامتناع الغيث .

(4) سبق التعريف به . توفي 27 هـ .

(5) شرح أشعار الهذليين ق 11/4 ج 68/1

(6) سبق التعريف به. توفي سنة 110 هـ .

(7) ديوان الفرزدق ص 68

(8) ديوان الفرزدق ص 165

ولبشار بن برد 2 : [البسيط]

لا يَعْدَمُ النصرَ مَن كنتمْ مَوالِيَهُ   ولا يخافُ جَمادًا عامَ أجمادِ3

ويقول إبراهيم بن هرمة 4 خاتمة ما يحتج به من الشعراء : [الوافر]

فإنكَ كالقريحة عام تُمهى   شَروبُ الماء ثم تَعودُ ماجا 5

وهكذا ، فهذه أمثلة واضحة تمام الوضوح في استخدام لفظ العام دالا أحيانا على معنى الخصب ، ومحملا أحيانا أخرى بمعنى الشدة والجدب ، وكلها شواهد من عصور الاحتجاج ، مما يُبطل القول باختصاص العام بمعنى الخصب وباختصاص السنة بمعنى الجدب .

والآن إلى استكشاف دلالة اللفظين فيما بعد عصر الاحتجاج اللغوي ، لنرى هل تثبت دلالتهما على هذا النحو الذي رأيناه ، أم تتطور في اتجاه ما .

---

(1) ديوان الفرزدق ص 380

(2) هو بشار بن برد العقيلي ، أشعر المولدين على الإطلاق ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان بارعا في الوصف على الرغم من أنه وُلد ضريرا . اتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط سنة 167 هـ . له ترجمة وافية في مقدمة ديوانه ص 8 وما بعدها .

(3) ديوان بشار بن برد 199/2 والجماد هي سنة القحط .

(4) توفي إبراهيم بن هرمة سنة 176 هـ ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ويتفق ابن الأعرابي والأصمعي – وتابعهما كثيرون – على أن الشعر خُتم بابن هرمة ، فلم يكونوا يحتجون في اللغة بشعر من أتى بعده . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 11 وما بعدها .

(5) البيت بهذه الرواية في اللسان (مها) 297/15 ، وفيه (مأجا) بالهمز ، وكذا فيه أيضا (شرب) 487/1 (بالقريحة ... مأجا) مع تصويب (بالقريحة)، و(مأج) 361/2 مع تصويب ابن بري أنها بالمد ، والبيت في ديوان ابن هرمة ق 6/18 ص 79 وفيه : " حين تُمهى " .

رابعا : دلالة السنة والعام فيما بعد عصر الاحتجاج :

مما ورد في لفظ سنة في تلك الفترة :

يقول أبو تمام 1 : [البسيط]

إن ابنَ يُوسُفَ نَجَّى الثَّغْرَ مِن سَنَةٍ أعوامُ يُوسُفَ عَيْشٌ عندَها رَغَدُ 2

ويقول أيضا : [الطويل]

وفي سَنَةٍ قد أَنْفَدَ الدهرُ عُظْمَها فلم يُرْجَ منها مُفْرَجٌ دونَ قابِلِ 3

ولأبي العلاء المعري 4 : [المتقارب]

وكم عِشْتُ من سَنَةٍ في الزمانِ وجاوزتُ من رَجَبٍ ومن صَفَرِ 5

فهذه أمثلة ثلاث من أمثلة عديدة ، دل فيها لفظ السنة على الزمان المجرد .

وفي شواهد أخرى يأتي موصوفا بمعنى الجدب ، ففي شعر البحتري6 : [الوافر]

(1) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، الشاعر المشهور ، أحد أمراء البيان في العصر العباسي . توفي231 هـ

(2) ديوان أبي تمام ق 50/45 ج1/ 245

(3) ديوان أبي تمام ق 22/126 ج 41/2

(4) أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ، الشاعر الفيلسوف ، توفي 449 هـ .

(5) ديوان أبي العلاء المعري ق 3/717 ج 279/2

(6) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبادة البحتري ، شاعر كبير من أشعر أهل عصره ، توفي 284 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 13 وما بعدها .

كريمٌ لا يزالُ له عطاءٌ يُغَيِّرُ سُنَّةَ السَّنَةِ الْجَمادِ 1

ومن شعر الشريف الرضي 2 : [البسيط]
ندعوكَ في سَنةٍ شابتْ ذَوائِبُها حتَّى تُفَرِّجَها مُسْوَدَّةَ القُضُبِ 3
ولمهيار الديلمي 4 : [الرمل]
والمعالي أنك استحليتَها طُعمةً في سنةٍ مرَّ جَناها 5
ونقرأ من شعر أبي العلاء المعري 6 : [الوافر]
تذكرتُ البداوةَ في أناسٍ تَخالُ رَبيعَهم سَنةً جَمادا 7
فهاهنا يأتي لفظ السنة – بمعنى الحول – دالا على زمن الجدب والشدة ، وهو لا يدل على هذا المعنى بذاته ، بل بوصف يُوصف به ، أو سياق قصره عليه .
وفي المقابل نقرأ للبحتري أيضا : [الطويل]

(1) ديوان البحتري ق 13/285 ج725/2
(2) هو محمد بن الحسين بن موسى الرضي العلوي ، أشعر الطالبيين ، مولده ووفاته ببغداد ، توفي 406 هـ . الأعلام 99/6
(3) ديوان الشريف الرضي ق 4/15 ص 266
(4) هو مهيار بن مرزويه ، أبو الحسن الديلمي ، شاعر فارسي الأصل من أهل بغداد ، كان مجوسيا فأسلم وتشيع وغلا في تشيعه حتى سب بعض الصحابة ، فقال له ابن برهان : يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى أخرى فيها . توفي 428 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه .
(5) ديوان مهيار الديلمي 192/4
(6) سبق التعريف به . توفي سنة 449 هـ
(7) سقط الزند ص 200

وفي سَنَةٍ قد طالَعَتْكَ سُعودُها وقابَلَك النَّيروزُ وهو بَشِيرُها

فَصِلْهَا بأعوامٍ تَوالَى ولا تَزَلْ مقدسةً أيامُها وشهورُها 1

ويُلاحظ هنا أن نفس الشاعر ، وهو البحتري ، قد مرّ له بيت استخدم فيه السنة بمعنى الشدة ، مما يدل على انتفاء اختصاص لفظ السنة بالدلالة على زمن الشدة أو الجدب .

ومن أوضح الشواهد الدلالة على ترادف اللفظين قول ابن نباتة السعدي2: [السريع]

إنْ طَرَقَ الْخَطْبُ وأنتَ مفقودْ ومَصَّ ظمآنُ الثَّرى ماءَ العودْ

في سَنَةٍ حَرّى وعامٍ جارودْ نُوسِعُهُ الذَّمَّ وأنتَ محمودْ 3

وكذلك قول مهيار الديلمي 4 : [الطويل]

ثلاث سِنينَ قد أكلتَ صُبابَتِي فغَادَرْتَنِي شِلْوًا وذا العامُ رابعُ 5

ولأبي العلاء كذلك : [البسيط]

وعُذْتُ باللهِ من عامٍ أخي سنةٍ نُجومُه في دُخانٍ ثائرٍ شَرَرُ 6

وفي العصر الحديث يقول أحمد شوقي1 : [الخفيف]

---

(1) ديوان البحتري ق 10/374-11 ج998/2

(2) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي ، من شعراء سيف الدولة بن حمدان ، مدحه ومدح غيره ، وتوفي 405 هـ .

(3) ديوان ابن نباتة السعدي ق 423/166 ج380/2 ، والعام الجارود هو شديد المحل .

(4) سبق التعريف به . توفي سنة 428هـ

(5) ديوان مهيار الديلمي 195/2

(6) شرح اللزوميات ق 3/501 ج 68/2

سنةٌ أَفْرَحَتْ وأخرى أَساءَتْ لم يَدُمْ في النَّعيمِ والكَرْبِ حالِم 2

فهي إذن شواهد متتابعة ، لشعراء مختلفي الاتجاهات والعصور ، استقر في حسهم اللغوي الترادف التام بين لفظي السنة والعام ، حينما يدلان على الزمان .

ولتأكيد ذلك نستعرض عددا من الشواهد مما ورد في لفظ العام :

ففي شعر أبي نواس 3 : [الوافر]

تزورهم بنفسك كلَّ عامٍ زيارة واصلٍ للقاطعينا 4

وله كذلك : [المنسرح]

خمسينَ عامًا حتى إذا هَرِمَتْ وَاخْضَرَّ مِن نَبْتِ نَبْتِها الوَرَقُ 5

وله كذلك : [البسيط]

ولا شَتَوْتُ بها عامًا فأدرَكَني فيها الْمَصِيفُ فَلِي عن ذاك مُرْتَحَلُ 6

ولعل البيت السابق يشتبه في أنه من الشواهد التي اعتمد عليها من قال إن العام لابد أن يشتمل على شتوة وصيفة ، وأن السنة تطلق على الزمن من أي

---

(1) هو أحمد بن علي بن أحمد بن شوقي ، أشهر شعراء العصر الحديث ، غلب عليه لقب أمير الشعراء . توفي1351 هـ

(2) ديوان شوقي 526/2 ، وهو في الشوقيات 160/3

(3) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول ، شاعر العراق في عصره . توفي 198 هـ . له ترجمة مقتضبة في مقدمة ديوانه ص 3

(4) ديوان أبي نواس ص 106

(5) ديوان أبي نواس ص 307

(6) ديوان أبي نواس ص 324

يوم عددته إلى مثله ، وهو أمر غير مسلّم به كما سبقت الإشارة ، ويؤكده قول ابن حجاج 1 : [الوافر]

لعيد النحر أيامٌ قصارٌ تلم بنا اجتيازا كل عامٍ 2

فعيد النحر يأتي في أيام معدودات معروفات ، ومع ذلك عبَّر عنها بالعام لا بالسنة.

وفي شعر أبي العتاهية 3 : [البسيط]

يا ذا الذي يومُه آتٍ بساعتِه وإنْ تأخَّرَ عن عامٍ إلى عامِ 4

ومن شعر ابن الرومي5 : [الكامل]

عام ولم ينتج نداك وإنما تُتَوَقَّعُ الحبلى لتسعة أشهر 6

وقوله : [الوافر]

فأعوام كأن العام يوم وأيام كأن اليوم عام 1

---

(1) هو حسين بن احمد بن محمد بن الحجاج البغدادي ، شاعر كبير من كتاب العصر البويهي ، اشتهر بالفحش والأهاجي. توفي 391هـ

(2) يتيمة الدهر للثعالبي 90/3

(3) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي ، شاعر مشهور من طبقة بشار وأبي نواس . توفي 210 هـ ، له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 5-10

(4) ديوان أبي العتاهية ص 391

(5) هو علي بن العباس بن جريج (أو جورجيس) الرومي ، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي ، رومي الأصل نشأ ونشأ ببغداد ، ومات فيها مسموما عام 283 هـ . الأعلام 297/4 ، و له ترجمة في مقدمة ديوانه 1/7-13

(6) ديوان ابن الرومي ج179/2 ، والبيت منسوب ضمن عدة أبيات لأبي تمام أيضا في ديوانه ق 19/429 ج386/2

ويلاحظ هاهنا أن اللفظ قد يدل على الخصب ، وقد يدل على عكسه ، فلا يوجد فيه مرجح .

ويقول ابن الرومي : [الخفيف]

صيرتْ لي اللقاء في كل شهر   وأراه يصير في كل عام 2

ويقول ابن الرومي أيضا : [السريع]

فكرتُ في خمسينَ عامًا خَلَتْ   كانتْ أمامي ثم خَلَّفْتُها 3

ومن شعر ابن المعتز 4 : [البسيط]

أهلا بزائرِ عامٍ مرةً أبدا   لو كان مِن بَشَرٍ قد كان عطارا 5

ومن شعره أيضا : [الكامل]

لَبِستْ ذيولَ الريح تعفو رسمَها   ومَصِيفَ عامٍ قد خلا وربيعا 6

ويقول المتنبي 7 : [الوافر]

---

(1) ديوان ابن الرومي 277/3

(2) ديوان ابن الرومي 366/1

(3) ديوان ابن الرومي 251/1

(4) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ، الخليفة العباسي ، مات مخنوقا سنة 296 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 5-6

(5) ديوان ابن المعتز ص 251

(6) ديوان ابن المعتز ص 300

(7) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي ، أبو الطيب ، الشاعر الحكيم ، أحد مفاخر الأدب العربي بما ترك في شعره من الأمثال السائرة والحكم البالغة . توفي 354 هـ . الأعلام 115/1 ، وله ترجمة مقتضبة في مقدمة ديوانه ص 5-6

إذا عُدَّ الكرامُ فتلك عِجْلٌ كما الأنواءُ حين تُعدُّ عامُ 1

ويقول : [الوافر]

ومَلَّنِيَ الفِراشُ وكان جَنبي يَمَلُّ لقاءَه في كلّ عامِ 2

ويقول أبو العلاء المعري : [الطويل]

ففي كل عام غارة مشمعلة وفي كل عام غزوة ونزال 3

ومن شعر ابن المقرب العيوني 4 : [السريع]

وقد تساوى عنده في المَدَى يومٌ وأسبوعٌ وشهرٌ وعامْ 5

ابن الفارض 6 : [الطويل]

وفي وَصْلِها عامٌ لديَّ كَلَحْظَةٍ وساعةُ هُجْرَانٍ عليَّ كَعامِ 7

ولابن الأبار 8 كذلك : [الوافر]

(1) ديوان المتنبي ص 103

(2) ديوان المتنبي ص 483

(3) سقط الزند ص 148

(4) هو جمال الدين علي بن المقرب العيوني ، توفي 629 هـ . الأعلام 24/5

(5) ديوان ابن المقرب العيوني ص 573

(6) هو عمر بن علي بن مرشد ، شاعر فيلسوف مبتدع اعتقد بما يسمى بوحدة الوجود توفي 632 هـ . الأعلام 55/5

(7) ديوان ابن الفارض ص 88

(8) هو أبو عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي ، توفي 658 هـ . انظر مقدمة تحقيق ديوانه ص 11 وما بعدها .

هنيئا عامُ إقبالٍ جديدٌ بِيُمْنِ طُلوعِه عَمَّ الهناءُ 1

ولأحمد شوقي 2: [الوافر]

وكان النيلُ يَعْرِسُ كلَّ عامٍ وأنت على المدى فَرِحٌ وعُرْسُ 3

ففي كل المواضع السابقة دلَّ لفظ العام على معنى الحول ، دون ارتباط بدلالة على خصب أو جدب .

وفيما يلي مواضع أخرى ورد فيها لفظ العام معبرا عن زمن جدب وشدة ، ومن ذلك قول أبي حية النميري 4 : [الوافر]

فتى لا يمنعُ المعروفَ منه تَبَسُّلُ شَتوةٍ ومحِلُّ عامِ 5

وفي شعر ابن هانئ الأندلسي 6 : [الكامل]

غيثُ البلادِ إذا اكفهرّ تجهُّمًا في أوجه الرُّوَادِ عامٌ ممحلُ 7

(1) ديوان ابن الأبار ق 34/3 ص 49

(2) سبق التعريف به . توفي 1351 هـ .

(3) الشوقيات 2/ 52

(4) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة ، أبو حية ، شاعر كبير من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . توفي 183 هـ . الأعلام 103/8

(5) منتهى الطلب من أشعار العرب ق 62/384 ج 221/7

(6) هو محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأندلسي ، يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ، أشعر المغاربة على الإطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق . توفي 362 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه ص 5-8

(7) ديوان ابن هانئ ص 285

ويقول أبو تمام 1 : [الوافر]

أَجِلْ عينيك في وَرَقِي مَلِيًّا فقد عاينتَ عامَ المحلِ عودي 2

وفي شعره : [الطويل]

فإن كان عامٌ عارمُ الْمَحْلِ فَاكْفِهِ وإن كان يومٌ ذو جِلادٍ فجالِدِ 3

ويقول : [الطويل]

لأَبْرَحْتَ يا عامَ المصائب بعدما دَعَتْكَ بنو الآمال عامَ الفوائدِ 4

ومن شعر الشريف المرتضى 5 : [الكامل]

وأبوكمُ سقَّى الأنامَ بسَجْلِه وأَحلّه والعامُ عامٌ مجدبُ 6

ولشرف الدين الحلي 7 : [الطويل]

فَما قَلَصَتْ في عامِ جَدْبٍ ظِلالُها ولا قيل عن سلسالها صدّ عن صَدِ 8

وله كذلك : [البسيط]

---

(1) سبق التعريف به . توفي 231 هـ .

(2) ديوان أبي تمام ق 43/47 ج255/1

(3) ديوان أبي تمام ق 27/50 ج272/1

(4) ديوان أبي تمام ق 17/186 ج213/2

(5) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم ، أخو الشريف الرضي ، أحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. توفي 436 هـ . الأعلام 278/4

(6) ديوان الشريف المرتضى 50/1

(7) هو راجح بن أبي القاسم إسماعيل الأسدي الحلي ، شاعر شيعي من بني أسد وُلد في مدينة الحلة بالعراق ، توفي سنة 627 هـ . الأعلام 10/3

(8) ديوان شرف الدين الحلي ق 15/49 ص 292

ملك إذا عَمَّ عامُ الْمَحْلِ كان لنا حِصْنًا فما يطرق الشهباءَ شهباءُ 1

ولابن المقرب العيوني : [البسيط]

ومطعم الطيرِ عامَ الْمَحْلِ فاسمُ به مِنَّا إذا صَرَّ خِلفُ الغيثِ فانصَرَما 2

ومر بنا قريبا قول أبي العلاء المعري : [البسيط]

وعذتُ بالله من عامٍ أخي سنةٍ نجومُه في دخانٍ ثائرٍ شررُ 3

ونلحظ في البيت السابق أن لفظ العام اكتسب الدلالة على الجدب من وصفه بلفظ السنة الدالة على الجدب لا على الزمن ، أما لفظ العام فلم يفارق دلالته على الزمن. وقريب من ذلك قول ابن الوردي 4 : [الوافر]

أيا عامَنا لا كنتَ عامًا فمثلكَ ما مضى في الدهر عامُ 5

فلفظ العام يدل على الزمان ، ولكنا نلمح من السياق أنه كان عام شدة على الشاعر ، فلم يدل اللفظ بذاته على الشدة ، ولكنه اكتسبها من السياق .

ومن العصر الحديث يقول حافظ إبراهيم 6 : [الوافر]

إذا ما مَرَّ بالبأساءِ عامٌ أَطلَّ عليه بالبأساءِ عامُ 7

وله أيضا : [الخفيف]

(1) ديوان شرف الدين الحلي ق 32/4 ص 129

(2) ديوان ابن المقرب العيوني ص 544

(3) شرح اللزوميات ق 3/501 ج 68/2

(4) هو عمر بن المظفر بن عمر ، الشاعر الأديب المؤرخ . توفي 749 هـ .

(5) ديوان ابن الوردي ص 105

(6) هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس ، شاعر مصر الكبير ، لُقب بشاعر النيل ، نشأ يتيما ، والتحق بالجيش وكانت له مواقف وطنية ضد الإنجليز . توفي 1351 هـ/1932 م .

(7) شرح ديوان حافظ إبراهيم ص 289

فلهذا وقفت أستعطف النا   سَ على البائسين في كل عامِ 1

ويقول أحمد شوقي : [الكامل]

في ذمَّةِ التاريخِ خمسةُ أشهرٍ   طالتْ عليك فكلُّ يومٍ عامُ 2

وفي مواضع أخرى ، ورد لفظ العام دالا على زمن الخصب والخير ؛ يقول أبو تمام أيضا : [الكامل]

عامٌ وشهرٌ مقبلانِ كلاهما   ما استجْمَعا إلاَّ لِحَظٍّ مُقْبِلِ 3

فإنه وإن لم يكن وصف العام بالخصب صراحة ، إلا أن الحظ المقبل فيه يشي بأنه عام خير . ولاحظ أننا أوردنا آنفا شواهد لأبي تمام استخدم فيها لفظ العام دالا على زمن الشدة والجدب .

ومن شعر أبي هلال العسكري 4 : [الطويل]

أرجّيه يوما أو ألاقيه ساعة   فيخصُب لي عامٌ ويَمْرَع عام   5

ومن شعره أيضا : [الطويل]

وزائرةٍ في كل عامٍ تَزُورُنا   فيخبر عن طيب الزمان مزارها 6

(1) ديوان حافظ إبراهيم ص 288

(2) الشوقيات 238/1 وهو هاهنا يتحدث عن حصار أدرنة ، وهو زمن شدائد وصعاب .

(3) ديوان أبي تمام ق 49/114 ج23/2

(4) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، أبو هلال ، شاعر أديب ، توفي 395 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه 1/ 5-9

(5) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري 54/1

(6) ديوان المعاني 490/2

أما ابن الرومي ، فقد تكرر لفظ (ألف عام) كثيرا في شعره ، استخدم بعضها في الدلالة على حال الصحة والعافية ، وبعضها يُفهم منها غير ذلك، فمنه: [المجتث]

اسلم على الأيام معمرا ألف عام

في ثوب نعمى جديد مذيَّل بالتمام 1

وقوله : [مجزوء الرمل]

فالبس العيدَ سعيدًا وأعاديك رغامُ

ألفَ عامٍ كلَّما أدْ بَرَ عامٌ كَرَّ عامُ 2

وقوله : [السريع]

أمتَعَه اللهُ بأعيادِه في غِبْطَةٍ دائمةٍ ألفَ عامِ 3

فهذه شواهد ظاهرة على استخدام ابن الرومي للفظ العام دالا على الخير ، ولكنه في مواضع أخرى يقول : [الخفيف]

صبّحوهم فكابد القوم منهم طول يوم كأنه ألف عام 4

ويقول : [البسيط]

مالي لديك كأني قد زرعتُ حصًى في عامِ جَدْبٍ وظهرُ الأرضِ صفوانُ 5

ويقول : [الخفيف]

(1) ديوان ابن الرومي 221/3

(2) ديوان ابن الرومي 231/3

(3) ديوان ابن الرومي 250/3

(4) ديوان ابن الرومي 339/3

(5) ديوان ابن الرومي 379/3

ما على حاكم من السعر أم ما   ذا عليه إن كان عاما جديبا 1

والدلالة هاهنا أوضح ما تكون على استخدام العام في زمن الجدب .

وهذا الأمر ليس مقصورا على ابن الرومي ، حيث نقرأ في شعر البحتري2 : [الخفيف]

قد شكونا إليك شكوى شكاها   عامُ مَحْلٍ إلى الغَمامِ جَدوبُ 3

وفي موضع آخر نجده يقول : [الكامل]

ودليلُ عامِ الخصبِ عند مُجَرِّبٍ   تبكيرُ أولِ زَهرِهِ وتُؤَامُه 4

ويقول : [الكامل]

وغَدا بنَيروزٍ عليك مباركٍ   تَحويلُ عام إِثْرَ عامٍ حائلِ5

فالبحتري استخدم لفظ العام دالا على الجدب في البيت الأول ، ودالا على الخصب في البيتين الآخرين .

ومثلهما السري الرفاء6 حيث يقول: [الكامل]

يمضي بمُرِّ الفَجْعِ عامٌ فيهمُ   ويجيء بالرُّزْءِ المبرِّحِ عامُ 7

فيستخدم العام في زمن الجدب ، ويقول في موضع آخر : [البسيط]

---

(1) ديوان ابن الرومي 156/1

(2) سبق التعريف به . توفي 284 هـ .

(3) ديوان البحتري ق 52/136 ج 354/1

(4) ديوان البحتري ق 31/778 ج 2040/4

(5) ديوان البحتري ق 31/641 ج 1646/3

(6) هو السري بن أحمد بن السري الكندي ، سمي بالرفاء لأنه كان يرفو ويطرز في صباه في دكان له ، شاعر أديب توفي 366هـ. الأعلام 81/3

(7) ديوان السري الرفاء ق 16/467 ج 690/2

ذممتَ زَرْعكَ خوفًا من مطالبتي والزَّرْعُ نُحلَةُ عامٍ غيرِ مذمومِ 1

فيستخدمه للدلالة على عكس ذلك .

ولعل مهيارا الديلمي من أكثر الشعراء استخداما للفظ العام للدلالة على زمن الجدب ، فمن ذلك : [الطويل]

سُقينا به ميْتًا كما كان جاهُه لدى الله حيًّا عام جدبٍ وإمحالِ 2

وقوله : [السريع]

من معشرٍ تضحك أيمانُهم إن آدَ عامُ السنةِ الشاحبِ 3

وقوله : [الخفيف]

وإذا استُصرخوا لعضَّةِ عامٍ ركبوا الجودَ يطردون الفقرا 4

وقوله كذلك : [الرمل]

والثرى أخضر لا يلبسه جِلدةَ الشهباءِ عامٌ قُحِطا 5

ولكننا مع ذلك نجده يقول : [مخلع البسيط]

وزار يومُ النيروز عامَ الـ خصب كما زارك الحبيبُ 6

(1) ديوان السري الرفاء ق 1/457 ج 668/2

(2) ديوان مهيار الديلمي 24/3

(3) ديوان مهيار الديلمي 126/1، ولاحظ أن قوله " عام السنة " فيه لفظ العام يدل على الزمن، أما لفظ السنة فهو بمعنى الشدة والجدب لا بمعنى الزمن المرادف للفظ العام ، فكأنه قال: عام الجدب .

(4) ديوان مهيار الديلمي 409/1

(5) ديوان مهيار الديلمي 164/2

(6) ديوان مهيار الديلمي 88/1

ويقول: [الكامل]

قابلْ به عامًا ترنَّق إنه　　متضاعفٌ لك خيرُه في القابلِ 1

فيستخدمه للدلالة على زمن الخصب .

وللحافظ ابن حجر العسقلاني2 بيت صريح في ترادف السنة والعام ، وذلك في قوله : [البسيط]

عاشا ثمانين عاما بعدها سنةٌ　　وربعُ عام سوى نقصٍ لمعتبرِ 3

وعلى من يخص السنة بالجدب والعام بالخصب أن يخبرنا أيهما في البيت السابق يدل على الخصب وأيهما يختص بالجدب .

ويظل هذا الترادف حاضرا في أذهان الأدباء والشعراء حتى العصر الحديث ، يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:[الوافر]

وبعدَ غدٍ يفارقُ عامُ بؤسٍ　　ويَخلُفُه من النعماء عامُ 4

وإذا كنا قد أشرنا قبل ذلك إلى وجود شواهد تناقض ما ذكره بعض اللغويين من أن العام يستخدم للدلالة على الأحداث بينما السنة تستخدم فيما فيه عدد ، فإن بيت ابن حجر السابق شاهد على استخدامهم لفظ العام فيما

---

(1) ديوان مهيار الديلمي 32/3

(2) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، شهاب الدين بن حجر ، الإمام المعروف . توفي 852 هـ . له ترجمة في مقدمة ديوانه ب- ح .

(3) ديوان ابن حجر العسقلاني ق 6 ص 111

(4) ديوان أحمد شوقي 529/1 ، وهو في الشوقيات 52/4

فيه عدد، وفي شعر تلك الفترة التي نحن بصددها شواهد عدة على ذلك ، منها شاهد لابن المعتز يقول فيه : [الرجز]

ومات بعد مائتين قد خلت في عامِ تسعٍ وثمانينَ مضتْ [1]

ونشفعه بقول ابن عبد ربه الأندلسي 2 : [الرجز]

حتى إذا ما سلفت شهورُ من عام عشرين لها ثبورُ 3

ولابن الوردي : [الرجز]

من عامِ سبعمائةٍ وعشرهْ من بعد خمسةٍ تليها الهجرهْ 4

فلفظ العام إذن يستخدم تمييزا للزمن المعدود ، ويستخدم كذلك مع الأحداث ، كقول ابن الأبار : [الطويل]

لقد رَاقَبَتْ عامَ الجماعةِ بُرْهَةً فلم يَعْدُها إقرارُ عينِ المُرَاقِبِ 5

وفي غير الشعر ينقل الجاحظ عن الأصمعيُّ قوله : " أخبرني جَوسق قال: كان يقال بالبدو: إذا ظَهَرَ البَياضُ قَلَّ السَّواد، وإذا ظَهَرَ السَّواد قَلَّ البَياض، قال الأصمعيُّ: يعني بالسَّواد التَّمر، وبالبياضِ اللَّبن والأَقِط، يقول: إذا كانت السَّنَةُ مجدِبة كثُرَ التَّمْرُ وقَلَّ اللَّبن والأَقِط، وقال: إذا كان العام خصيباً

(1) ديوان ابن المعتز ص 505

(2) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي ، الأديب الكبير صاحب العقد الفريد . توفي 328 هـ . ترجمته في مقدمة ديوانه ص 5-11

(3) ديوان ابن عبد ربه ص 206 في أول أرجوزته في مغازي عبد الرحمن الناصر لدين الله .

(4) ديوان ابن الوردي ص 506

(5) ديوان ابن الأبار ق 7/25 ص 84

ظهر في صدقةِ الفِطر البياض يعني الإقِط وإذا كان جَدِيباً ظهر السَّواد، يعني التّمر " [1].

وفي نهاية الأرب في فنون الأدب : " ومن غريب ما اتفق في بعض السنين أنهم أودعوا الحب الأرض على عادتهم فلم يسقط عليه الأمطار في تلك السنة، فاستمر في الأرض إلى العام القابل، وأيس أهل البلاد منه، وزرعوا في السنة الثانية شطر الأراضي التي كانت كرابا غير مزروعة – فإن عادتهم بسائر بلاد الشأم أن كل فلاحٍ يقسم الأراضي التي بيده شطرين، فيزرع شطرا، ويريح شطرا، ويتعاهده بالحرث لتقرع الشمس باطن الأرض، ثم يزرعه في القابل ويريح الشطر الذي كان به الزرع؛ هذا دأبهم، خلافا لأراضي الديار المصرية، فإنها تزرع في كل سنة – فلما وقعت المطار نبت الشطران معا، وأقبلت الزراعات في تلك السنة، فتضاعف المغل، وهذا غريبٌ نادر الوقوع " [2].

وفي الأمالي الشجرية : " عن ابن عباس قال: قالت امرأة أيوب عليه السلام : قضنا البلاء فادع ربك بالعافية ، قال: ويحك كنا في السراء سبعين عاما فدعينا حتى نصبر على الضراء سبعين عاما " .

ونقل القلقشندي[3] في صبح الأعشى : " قال ابن الأثير في عجائب المخلوقات: قال أبو بكر الموصلي: سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان

---

(1) الحيوان 217/1

(2) نهاية الأرب 445/2

(3) القلقشندي أحمد بن علي الفزاري ، توفي 821 هـ . الأعلام 177/1 ، وله ترجمة في ختام الجزء الرابع عشر من صبح الأعشى ص 14-19

العام مخصباً، يقبض على طائرين، وإن كان متوسطاً، يقبض على طائر واحد، وإن كان جدباً، لم يقبض على شيء " [1].

وفيه كذلك : " ثم للكاتب في كتابة تاريخ السنة مصطلحان :

المصطلح الأول أن يكتب سنة كذا فيحتاج إلى حذف الهاء من العدد، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائةٍ ونحو ذلك، وعلى هذا اصطلح كتاب الديار المصرية وبلاد المشرق.

المصطلح الثاني أن يكتب عام كذا فيحتاج إلى إثبات الهاء في العدد على قاعدة إثباتها في عدد المذكر، مثل أن يكتب عام ستةٍ وثمانمائةٍ وعلى نحو ذلك يجري كتاب الغرب غالباً، لما يقال: إن العام يختص بالخصب، والسنة تختص بالمحل " [2].

وهو كلام لا يخلو من اضطراب ، إذ أنه يذكر الفرق بين السنة والعام ، وهو الذي درج أصحاب المعاجم على ذكره ، ولكن في حقيقية استخدامه للفظين لا نجد فرقا يُذكر . وما يؤكد ذلك قوله : " التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد ، وهي على ثمانية أصناف : الصنف الأوّل التهنئة بأوّل العام وغرّة السّنة " ، ثم يذكر بعدها من كلام المتقدمين : " ولأبي الحسين بن سعد: عظّم الله على مولاي بركة الشهر والسنة المتجدّدين، (تكرر هذا التركيب أكثر من مرة في أكثر من أسلوب لهذا الكاتب) . وله في مثله: عظّم الله على مولاي بركة هذا

(1) صبح الأعشى 431/1

(2) صبح الأعشى 471/2

الشهر، الماضي من أيّامه وباقيها، وهذه السنة، وجعلها أيمن سنةٍ حالت عليه وأسعدها " [1]. فاللفظان واحد في الاستخدام كما هو ظاهر .

ولعلنا نختم بأمثلة من كلام أصحاب المعاجم أنفسهم ، بعيدا عما نقلوه من أقوال العلماء في الفروق بين السنة والعام ، لننظر كيف كان استخدامهم للفظين . إن ما سننقله هاهنا بمثابة الاعتراف الضمني بترادف اللفظين ، ففي اللغة فإن الاستخدام هو سيد الأدلة ! ومن الذي يُستشهد باستخدامه ؟ إنهم أصحاب المعاجم أنفسهم . وهي نُقول لا تحتاج إلى تعليق ، تحتاج فقط إلى قليل من التأمل :

يقول الخليل[2] في العين: " وعام الكَبيس في حساب أهل الشام المأخوذ عن أهل الروم: في كل أربع سنين يزيدون في شهر شباط يوماً، يجعلونه تسعة وعشرين يوماً، يقومون بذلك كسور حساب السنة. يسمون العام الذي يزيدون فيه ذلك اليوم: عام الكبيس " [3].

ويقول الزمخشري[4] في أساس البلاغة : " وأرض جرداء: منجردة عن النبات، 000 وجردتهم الجارودة أي العام أو السنة. 000 ومضى عليهم عام أجرد وجريد، وسنة جرداء: كاملة منجردة من النقصان " [5].

(1) صبح الأعشى 441/3

(2) توفي الخليل بن أحمد الفراهيدي في 170 هـ . الأعلام 314/2

(3) العين (كبس) 7/4

(4) توفي الزمخشري (محمود بن عمر) في 538 هـ . معجم الأدباء 2687/6-2691 ، والأعلام 178/7

(5) أساس البلاغة (جرد) 116/1

ويقول كذلك في الفائق في غريب الحديث و الأثر : " العباس رضي الله تعالى عنه تقدَّم الناس يوم فتح مكة، فقال: يأهل مكة؛ أسلموا تسلموا؛ فقد استبطنتم بأشهب بازل . أي بأمر صعب شديد، والأصل فيه: العام الأشهب؛ لأن الأرض تشهاب من وقوع الصقيع، وتذهب خضرة النبات. وكثر ذلك حتى قالوا: شهبتهم السنة، وهي شهوب؛ وأصابتهم شهبة من قرّ ومن سنة " [1].

وفي تاج العروس : " ومما يستدرك عليه : عامٌ أعوامٌ [لعل صوابه : أعومُ] على المبالغة ، قال ابن سيدة : وأراه في الجدب ، كأنه طال عليهم لجدبه وامتناع خصبه " .

وقد مرّ بنا قريبا قول الفيروزابادي في القاموس المحيط : " والأُبَيْقِعُ: العامُ القَلِيلُ المَطَرِ. والبَقْعاءُ: السَّنَةُ المُجْدِبَةُ، أو فيها خِصْبٌ وجَدْبٌ " [2] .

وأما ابن منظور فلسان العرب مليء بأمثال تلك العبارات ، التي لا نفهم منها سوى الترادف التام للفظي السنة والعام الدالين على الزمان ، فمن ذلك قوله: " وعام غَيْداق: مُخصب، وكذلك السنة بغير هاء " [3].

وفيه كذلك : " السَّنَة : العامُ ، منقوصة ، والذاهب منها يجوز أَن يكون هاء وواواً " [4].

وفي اللسان أيضا : " والجَدْبةُ الأَرض التي ليس بها قَلِيلٌ ولا كثير ولا مَرْتَعٌ ولا كَلأٌ وعامٌ جُدُوبٌ وأَرضٌ جُدُوبٌ وفلانٌ جَديبُ الجَنَاب وهو ما حَوْلَه وأَجْدَبَ

---

(1) الفائق 243/1

(2) القاموس المحيط (بقع) المجلد الثاني 7/3

(3) اللسان (غدق) 282/10 ، وهو منقول عن ابن سيده في المحكم .

(4) اللسان (سنه) 501/13 ، وهو في المحكم لابن سيده كذلك .

القَوْمُ أَصابَهُمُ الجَدْبُ وأَجْدَبَتِ السَّنةُ صار فيها جَدْبٌ وأَجْدَبَ أَرْضَ كَذا وجَدَها جَدْبةً وكذلك الرَّجُلُ وأَجْدَبَتِ الأَرضُ فهي مُجْدِبةٌ وجَدُبَتْ وجادَبَتِ الإِبلُ العامَ مُجادَبةً إِذا كان العامُ مَحْلاً فصارَتْ لا تأْكُل إِلا الدَّرينَ الأَسْوَدَ " [1].

ويقول ابن منظور : " ويقال حَقِبَ العامُ إِذا احْتَبَس مَطَرُه ... " [2].

وعنده أيضا : " والأَوزامُ السِّنُون الشدائد كالبَوازِم وأَزَمَ عليهم العامُ والدهرُ يَأْزِمُ أَزْماً وأُزُوماً اشتدّ قَحْطُه وقيل اشتدَّ وقَلَّ خَيرُه وسنة أَزْمَةٌ وأَزِمَةٌ وأَزُومٌ وآزِمةٌ قال زهير :

000 000 000 000 إِذا أَزَمَتْ بهم سَنةٌ أَزُوم

ويقال قد أَزَمت أَزامِ " [3].

وفيه أيضا : " العامُ : الحَوْلُ يأْتي على شَتْوَة وصَيْفَة ، والجمع أَعْوامٌ ، لا يكسَّرُ على غير ذلك ، وعامٌ أَعْوَمُ على المبالغة . قال ابن سيده : وأُراه في الجدب كأَنه طال عليهم لجَدْبه وامتناع خِصْبه وكذلك أَعْوامٌ عُوَّمٌ... ونبْتٌ عامِيٌّ أَي يابس أَتى عليه عام وفي حديث الاستسقاء سِوَى الحَنْظَلِ العامِيِّ والعِلهِزِ الفَسْلِ ، وهو منسوب إلى العام لأَنه يتخذ في عام الجَدْب كما قالوا للجدب السَّنَة " [4].

(1) اللسان (جدب) 254/1

(2) اللسان (حقب) 324/1

(3) اللسان (أزم) 16/12 ، وبيت زهير المذكور في ديوانه ص 120 وفيه "كما قد كان عودهم أبوه / إذا أزمتهم يوما أزوم" .

(4) اللسان (عوم) 431/12

ويقول : " والثِّنَى في الصّدَقة أَن تؤخذ في العام مرتين ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال لا ثِنَى في الصدقة مقصور يعني لا تؤخذ الصدقة في السنة مرتين "[1].

ويطول بنا المقام إن رحنا نستعرض أمثال تلك المواضع ، التي لا تدع مجالا للشك في استخدامهم السنة والعام بمعنى واحد ، خلافا لما يذكرونه من الفرق بينهما .

خاتمة : خلاصة دلالة لفظتي السنة والعام :

- لفظ السنة من المشترك السامي ، أما لفظ العام فهو خاص باللغة العربية .
- لفظ السنة في اللغة العربية منذ ما قبل الإسلام ، وحتى العصر الحديث ، يدل بذاته على معنيين : أولهما بمعنى الحول ، من غير ارتباط بخصب أو قحط ، وهو المعنى الأصلي السامي للفظ . وثانيهما بمعنى القحط والجدب. ولا تسعفنا الشواهد لمعرفة نشأة هذا المعنى ، وهل هو تطور صوتي من لفظ آخر ، أو دلالي من اللفظ الأصلي ، أو أنه من قبيل إضافة الموصوف مكان الصفة .
- لفظ العام منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث له دلالة واحدة ، هي معنى الحول ، دون ارتباط بمعنى الخصب أو الجدب ، فهو يدل

(1) اللسان (ثنى) 115/14

على الزمان المجرد . والدلالة على أيهما لابد لها من مرجح لفظي ظاهر ، أو يُفهم من السياق لا من ذات اللفظ .

- لفظ العام مرادف ترادفا تاما للفظ السنة بمعنى الحول ، وكل ما ورد في المعاجم وكتب الفروق اللغوية من فروق بينهما توجد شواهد بخلافها ، حيث :
  - لا يختص لفظ العام بالزمن الخصب ، ولفظ السنة بالزمن الجدب .
  - لا يوجد بينهما علاقة عموم وخصوص ، فلا يشترط أن يشتمل العام على شتاء وصيف .
  - لا يختص العام بالدلالة على الحدث ، والسنة بتمييز الزمن المعدود .
- درج كثير من الشعراء والكتاب على استخدام لفظ السنة محملا بالدلالة على زمن الجدب والشدة ، ولكن هذه ليست قاعدة ، بدليل استخدامهم المتكرر للفظ العام محملا بدلالة عكس ذلك ، بالإضافة إلى ورود شواهد في القرآن والحديث دالة على ذلك أيضا .
- وبناء على ما سبق ، فإننا نستطيع أن نعاقب بين لفظتي السنة و العام للدلالة على الزمن في السياقات المختلفة ، في جميع تعبيراتنا على اختلافها، أما السنة بمعنى القحط والجدب لا بمعنى الحول فهو معنى ثان لا علاقة له بمعنى العام .

- **وأخيرا ، فإن تفسير بعض آيات القرآن الكريم التي ورد فيها لفظا السنة والعام اعتمادا على الفروق التي ذكرها المعجميون ؛ أمر غير مسلّم به . وكذلك استنباط أحكام فقهية بناء على ذلك أمر فيه نظر .**

مراجع البحث

1. القرآن الكريم .

2. أساس البلاغة ، للزمخشري ، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ثانية 1973 م

3. الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الخامسة، 1980 م

4. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر العربي ، ط ثانية 1398هـ/1978م (مصورة عن طبعة السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب 1328هـ)

5. تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، اعتنى به د. عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى 1428هـ/ 2007 م

6. تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، لابن أيبك لصفدي ، تحقيق د. السيد الشرقاوي، مراجعة د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط أولى ، 1407هـ/1987 م

تفسير الألوسي = روح المعاني .

7. تفسير البيضاوي ، المطبعة العثمانية ، 1305 هـ .

تفسير الشوكاني = فتح القدير .

تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن .

تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن .

تفسير الماوردي = النكت والعيون .

8. جامع البيان في تفسير القرآن ، لابن جرير الطبري ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ثالثة، 1398هـ/1978 م

9. الجامع الصحيح ، للإمام مسلم ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة 1383 هـ (مصورة عن طبعة استانبول 1329 هـ)

10. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، دار الكتاب العربي للنشر والطباعة ، القاهرة 1387هـ/1967 م

11. الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ثانية 1384 هـ/1965 م

12. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط الرابعة 1418هـ/1997 م

1) دور الكلمة في اللغة ، لاستيفان أولمان ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، القاهرة 1975م

13. ديوان ابن الأبار ، تعليق عبد السلام الهراس ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية ، 1420هـ/1999 م

14. ديوان أحمد شوقي ، توثيق وتبويب د. أحمد محمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط أولى 1399 هـ/1979 م

15. ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمع وشرح د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر ، بيروت ، ط أولى 1998 م

16. ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1400 هـ/1980 م

17. ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ثالثة .

18. ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية 2007 م

19. ديوان بشر بن أبي خازم ، شرح مجيد طراد ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط أولى 1451 هـ/1994 م

20. ديوان تأبط شرا وأخباره ، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط أولى 1404 هـ/1984 م

21. ديوان جرير ، دار بيروت للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1406هـ/1986 م

22. ديوان جميل بثينة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1402هـ/1982 م

23. ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، دار الكتب المصرية 1937 م

24. ديوان ابن حجر العسقلاني ، جمع وتصحيح د. السيد أبو الفضل، حيدر أباد الدكن ، 1381هـ/1962 م

25. ديوان حسان بن ثابت ، شرح عبدأ علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثانية 1414 هـ/1994 م

26. ديوان حميد بن ثور ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1384هـ/1965م (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية 1371هـ/1951م)

27. ديوان الخنساء ، شرح أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق د. أنور أبو سويلم ، دار عمار ، الأردن ، ط أولى 1409هـ/1989 م

28. ديوان الراعي النميري ، جمعه وحققه راينهرت فايبرت ، المعهد الألماني للدراسات الشرقية ، بيروت ، 1401هـ/1980 م

29. ديوان رؤبة بن العجاج ، اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة ، الكويت ،

30. ديوان ابن الرومي ، شرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ثانية ، 1423هـ/2002 م

31. ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى 1408 هـ/1988 م

32. ديوان السري الرفاء ، تحقيق د. حبيب حسين الحسيني ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية 1981 م

33. ديوان شرف الدين الحلي ، تحقيق ودراسة د. الدوكالي محمد نصر ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، طرابلس ليبيا 1994 م

34. ديوان الشريف الرضي ، صنعة أبي حكيم الخبري ، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ، وزارة الإعلام العراقية ، ط أولى 1397 هـ/1976 م

35. ديوان الشريف المرتضى ، تحقيق رشيد الصفار ، مراجعة د. مصطفى جواد، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ، القاهرة 1378هـ/1958م

36. ديوان الطرماح ، تحقيق د. عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت / سوريا ، ط ثانية ، 14141هـ/1994 م

37. ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبي بكر بن الأنباري عن ثعلب ، دار صادر، بيروت ، 1399هـ/1977 م

38. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي ، جمع وتحقيق د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط أولى ، 1399هـ/1979 م

39. ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح أشرف أحمد عدرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط أولى 1414هـ/1994 م

40. ديوان أبي العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1406هـ/1986 م

41. ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي ، ط أولى ، 1407هـ / 1987م

42. ديوان عروة بن الورد ، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1418هـ/1998 م

43. ديوان ابن الفارض ، المكتبة الأدبية ، بيروت ، 1891 م

44. ديوان الفرزدق ، شرح علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط أولى 1407هـ/1987 م

45. ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1403هـ/1983 م

46. ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، شرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط أولى 1414 هـ/1994 م

47. ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

48. ديوان ابن المقرب العيوني ، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ، مكتبة التعاون الثقافي بالأحساء . مطبعة البابي الحلبي بمصر 1383هـ/1963م

49. ديوان مهيار الديلمي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1345هـ/1926 م

50. ديوان ابن نباتة السعدي ، تحقيق ودراسة عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1977 م

51. ديوان ابن نباتة المصري ، المكتبة الحميدية، بيروت ، 1304هـ.

52. ديوان أبي النجم العجلي ، جمع وتحقيق د. محمد أديب جمران ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1427هـ/2006 م

53. ديوان أبي نواس ، شرح محمود أفندي واصف ، ط أولى ، القاهرة 1898م

54. ديوان ابن هانئ الأندلسي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت، 1400هـ/1980 م

55. شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ومراجعة محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ط أولى 1384هـ/1965 م

56. ديوان ابن الوردي عمر بن المظفر ، تحقيق د. أحمد فوزي الهيب ، دار القلم ، الكويت ، ط أولى 1407 هـ/1986 م

57. ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ، جمع وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ثانية 1402هـ/1982 م

58. روح المعاني ، للألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

59. الروض الأنف ، للسهيلي ، علق عليه مجدي منصور الشورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ، دون تاريخ .

60. سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، دار بيروت – دار صادر ، بيروت 1376هـ/1957 م

61. سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، دون تاريخ .

62. شرح ديوان أبي تمام ، تقديم راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ثانية ، 1414 هـ/1994 م

63. شرح ديوان حافظ إبراهيم ، تعليق وتهذيب د. يحيى شامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط أولى 1419 هـ/1998 م

64. شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، بعناية مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط أولى 1412 هـ/1992 م

65. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، دار المعرفة ، بيروت 1398هـ/ 1978 م

66. شرح لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري ، تأليف د. طه حسين ، وإبراهيم الإبياري ، دار المعارف ، القاهرة .

67. شرح هاشميات الكميت ، قرأها ووضع حواشيها د. محمد نبيل الطريفي ، بذيل ديوان الكميت ، دار صادر ، بيروت ، ط أولى 2000 م

68. شعر إبراهيم بن هرمة ، تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1389هـ/1969 م

69. شعر الخوارج ، جمع إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ثانية 1974م

70. شعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري ، وزارة الإعلام العراقية 1394 هـ/1974 م

71. شعراء إسلاميون ، د. حمودي نوري القيسي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ثانية ، 1405هـ/1984 م

72. صبح الأعشى للقلقشندي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1340 هـ /1922 م

73. صحيح البخاري ، طبعة بعناية د. مصطفى ديب البغا ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط ثالثة 1407هـ/1987 م

صحيح مسلم = الجامع الصحيح .

74. الفائق في غريب الحديث والأثر ، للزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، ط ثانية 1971 م

75. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي ، قرأه عبد العزيز بن باز ، مكتبة الرياض الحديثة .

76. فتح القدير ، للشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .

77. الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، 1418هـ/1997 م

78. فصول في فقه العربية، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط ثالثة 1408هـ/ 1987م

79. القاموس المحيط ، للفيروزابادي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ثانية 1371هـ/1952 م

80. كتاب الصبح المنير في شعر الأعشى بصير والأعشين الآخرين ، طبعة آدولف هلزهوستن ، 1927 م

81. كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، رتبه د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى 1424هـ/2003 م

82. لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر، بيروت، ط أولى 1410هـ/1990م

83. مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة، نشرة ثانية ، 1960 م

84. المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى 1421هـ/2000 م

85. المصباح المنير ، للفيومي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط أولى ، 1421هـ/2000 م

86. معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط أولى ، 1993 م

87. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط ثانية ، 1409 هـ /1989 م

88. معجم لغة الفقهاء ، د. محمد رواس قلعه جي ، د. حامد صادق قنيبي ، دار النفائس ، بيروت ، ط ثانية ، **1408** هـ/ **1988** م

89. معجم المشترك السامي في اللغة العربية ، د. حازم علي كمال الدين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط أولى **1429** هـ/**2008** م

90. المعمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ، القاهرة **1961** م

91. المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ، القاهرة ، ط ثالثة ، **1383**هـ/**1963** م

92. منتهى الطلب من أشعار العرب ، لمحمد بن المبارك ، تحقيق د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط أولى **1999** م

93. النكت والعيون ، للماوردي ، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر ، دار الصفوة، القاهرة ، ط أولى **1413**هـ/**1993** م

94. نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ، **1424** هـ / **2004** م

95. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور الثعالبي ، شرح وتحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى **1403** هـ/**1983** م

فهرس الموضوعات